

التُّنِّي

رواية حقيقية من واقع حياة دافن الموتى



لمياء السعيد



التربية

رواية حقيقية من واقع حياة دافن الموتى

تأليف

ثمياء السعيد

التربي

رواية حقيقية من واقع حياة دافن الموتى

تأليف

لمياء السعيد

طبعة ٢٠١٦

السعيد، لمياء

التربي/رواية حقيقية من واقع حياة دافن الموتى/ لمياء السعيد - ط
١- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٥.

٢٣٦ ص. ٢٠ سم

تدمك: ٨ ٣٩٤ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

المقدمة

أهدي كتابي إلى الأستاذ/ حسام حسن المدير العام لدار
أطلس.

فهو صاحب فكرة كتابي وقد دعمني وهو من شجعني على
إكماله.



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصري

عادل المصري

رئيس مجلس الإدارة
عادل المصري

الناشر

نوران المصري

رقم الإيداع

٢٠١٥/٢١٥٥٥

الترقيم الدولي

٩٧٨-٩٧٧-٢٩٩-٢٩٤-٨

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٦

الكتاب : التربي

المؤلف : لمياء السعيد

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م

٢٥ ش وادي النيل - المهندسين - الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ - ٣٣٤٢٤٧١ - ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

المقدمة

في كتابي، جمعت عدة تجارب من أصحاب هذه المهنة،
قصوا لي عن عالمهم المليء بالأسرار والحكايات، بعضها حدثت
معهم شخصياً وعاشوها وبعضها سمعوا بها.

كلنا نحمل في قلوبنا شغفاً بالمعرفة عن عالم الموتى والمقابر،
ماذا يحدث داخلها؟ ربما يكون ذلك محاولة منا لمعرفة ما
سيثول إليه حالنا جميعاً يوماً ما.

أوأنه حال الإنسان دائماً، يحاول اكتشاف ما يجهله..

وهناك أشخاص تماسوا مع هذا العالم ويعلمون ما يحدث
في مدينة الموتى فحكوا لي بعضاً منها..

ربما أصابوا وربما أخطأوا ولكنهم في النهاية بشر يعملون
أرقى مهنة في التاريخ وهي حمل سوءاتنا، فجمعت خيوط
روايتي ونسجتها بخيال الكاتب فكانت إجابة عن سؤالي، ماذا
لو حدث ذلك فعلاً؟

وأتمنى أن تنال محاولتي إعجاب من يقرأها.

إيه ده، إيه اللي جابك هنا؟

أنا جاي أخذ الجثة زي ما اتفقنا.

لا، احنا ما اتفقناش تاخدها، اطلع بره.

ما أنا باخد الوارد الجديد كله، تفرق إيه دي عن غيرها
يعني، سيبيني أشوف شغلي يا عم عادل، مالك النهاردة؟

قلت لك، لا، أنت مين قالك تيجي أصلاً يا سمير، امشي.

- بص بقى، أنا عرفت من الواد حودة إن في حنة جت
وأنا محتاجها أوي وهزودك لو عاوز.

- لا دي مش للبيع.

- يا عم مش هاخدها كلها، أنا مزنوق بس في كام حنة
منها وهسيبك الجمجمة، أنا عارف إنك بتحتاجهم
كثير عشان بتوع الكيف.

- لا، مش هتقرب منها، مش للبيع، بقولك متحطش إيدك

عليها .

- خلاص يا عم عادل، نستلفها ونرجعها لك بعد كام يوم.

- لا يا سمير، اطلع بره لأدفتك جنبها.

- تدفن مين يا جدو، شكلك شارب حجرين وهيچوا على

دماغك، هي أول مرة ولا إيه مالك؟

- ملكش دعوة مالي، ابعده عنها وخلاص.

- طب، ابعده عني لأعورك.

- أمسك عادل بذراع سمير وجذبه بقوة.

- فدفع سمير عادل فاصطدم بحائط المقبرة بشكل مؤلم

وأكمل سمير فك الكفن من حول الجثة ومحاولة رفعها

على كتفه .

قام عادل سريعاً وأمسك الفأس وضرب سمير على مؤخرة

رأسه فأوقعه أرضاً وسمع صوت تألمه كمن يصارع الموت وجحظت

عيناه وفغر فاه على آخره وأخذ يتنفس بصعوبة شديدة وبصوت مرتفع أقرب إلى النهجان وكان روحه تغادر جسده ولكن سرعان ما صمت وانتشرت الدماء بالمقبرة، فقد لفظ أنفاسه وفارق الحياة.

وجلس عادل فوق جثة الفتاة، يبكي ويحاول إعادة تكفينها .

ولكن دخل حودة المساعد؛ لاستعجال سمير حتى لا يراه عادل، فقد اتفق حودة مع سمير على بيع الجثة بدون موافقة عادل ولا علمه، فوجده مضرجاً في دماؤه وعادل جالس يبكي.

- إيه اللي حصل يا عم عادل، مين عمل كده؟

- أنا اللي قتلته.

- قتلته!!! يا نهار مش فايت، ليه كده؟

- ملكش دعوة، غور من وشي يا وش الفقر! لأقتلك أنت كمان.

- تقتلني، لا يا عم أنا خارج.

وقفز على السلم سريعاً وتعالّت صرخاته حتى خرج خارج المقبرة واجتمع أهل المقابر جميعاً حوله يتساءلون وهو يصرخ: عادل اتجنن وعاوز يقتلني بعد ما قتل سمير فنزلوا إلى المقبرة ليجدوا سمير هارق الحياة وعادل لم يفارق مكانه بعد.

يكفن الفتاة ويفسلها بدموعه مرة أخرى.

وصلت الشرطة واقتادت عادل التريبي العجوز إلى القسم والطبيب الشرعي أخذ الجثتين، سمير وتلك الفتاة المجهولة والمدفونة منذ ساعات.

بدأت التحقيقات وانهاالت على عادل آلاف الأسئلة، لماذا قتل سمير؟

وماذا أتى بموظف الجامعة إلى المقابر ليلاً؟

ومن تلك الفتاة المدفونة؟

وأين تصريح دفنها؟

هل كنت تبيعه الجثث؟

هل اختلفتم على السعر وتشاجرتم فقتلته؟

هل هناك ما يخص هذه الفتاة وهدد سمير بفضحه؟

ولكنه لم يجب ولا كلمة، لم ينطق نهائياً.

أثبت تقرير الطب الشرعي أن الفتاة ماتت إثر جرعة مفرطة من المخدرات وأنها لا تتجاوز التاسعة عشر من عمرها وليس لها تصريح دفن ولم يستدل على هويتها، فلا تحمل بطاقة ولا أي شيء يدل على شخصيتها ولكن العجيب في الأمر: أنها كفنت شرعياً ولم تدفن بملابسها كما هو الحال في تلك الحالات.

من أين جاءت؟

لا أحد يعلم، وما الذي أتى بها إلى المقابر أصلاً؟

ومن أعطاها المخدر؟

أم أنها جاءت مخدرة؟

لا أحد يعلم....

وكشف أيضاً تقرير الطب الشرعي أنها لا تزال أنسة
فليست متزوجة ولكن؟

آلاف الأسئلة تدور حولها...

وعادل صامت كمومياء عمرها ألف عام، لا يتحدث سوى
بضع همهمات، أثر البكاء.

لم يجد القاضي بدءاً من تخيل ما حدث، إنها جريمة
بشعة، راح ضحيتها سمير والفتاة المجهولة والقاتل صامت
كجبل أمامه فالتربي الذي اعتاد الموت وسكن بجواره ثلاثون
عاماً، لا يستطيع الآن النظر إلى صور الضحيتين ولا يكف عن
البكاء.

خيلته النيابة أنه مجرم عتيد ولا تفرنكم دموع التماسيح تلك
وأنها فقط لاستمالة قلوب القضاة لسؤالهم التخفيف عنه ولكن
في حقيقة الأمر لم يكن عادل يبالى أويهتم بما يحدث، حتى أنه
لم يكن يسمع ما يقولونه فعلياً ولكن بين الحين والآخر، يرن

بأذنه اسم يتداول في القاعة فيعيرهم نظرة أو التفاتة لا مبالية
ولكنه يستطلع الوجوه من حوله، فهناك وجه يريد أن يراه حقاً
ولكنه ليس موجوداً، فلا يبالى بمن حضر سواء ويتذكر ما حدث
وتتهمر دموعه فيفسرها وكيل النيابة مثلما يشاء، فهو لم يكن
حاضراً معهم سوى بجسده فقط، أما روحه في مكان ما ولا
يحررها سوى دموعه.

سواء كانت دموع التماسيح أودموع الندم والحسرة، وفي
كلتا الحالتين هو قاتل.

فحكم على عادل بالإعدام شنقاً.

ولم تجدِ توسلات أهله ولا محاميه للاعتراف أوحتى
الحديث بكلمة واحدة لتبرير موقفه.

فقد استمات المحامي في الحديث إليه أن يتهم سمير بسرقة
المقبرة، وأنت فقط كنت تدافع عنها، فضريته، مما أفضى إلى موته.
أوأنه من جاء بالفتاة المقتولة وأنت دخلت وهو يدفنها،
فحدث بينكم شجار، رفض كل ذلك.

أتعلم، لماذا رفضت يا ولدي؟

لأنه لم يعد لحياتي معنى أوجدوى، يجب أن أموت قريباً
حتى لا تتكاثر، سيأتي أكثر من ذلك، فقد فعلت الكثير مما
أخجل منه ولكن لن أخجل منك يا ولدي....

سأملأ قلبك بتجاربى حتى لا تقع في أخطائي وتحذر من
حولك، فالموتى قد يبدون صامتين جداً ولكن هناك حيث مدينة
الموتى، يحدث الكثير والكثير فإن أجدت الإنصات، ستجد ما
يشيب له الولد في هذا العالم.

فوسط هذا الصمت، آلاف الحيوانات والكثير من الخوف
والألم وأشياء لو سمعتها لشاب شعر رأسك، ما بالك بمعايشتها
يوماً بعد يوم، ففي مدينة الموتى، الجن جيران والأشباح أصحاب
بيت والهلع والفرع هو سمة أيامنا فيكفي أننا نبدأ يومنا بمواكب
الحزن والصرخات؛ ليحل علينا الليل وما إن تظلم الدنيا ويفلق
الباب يبدأ العرض.....

لا أعرف إن كان الوقت سيكفي أم لا؟

ولا أعرف إن كنت سأستطيع أن أتذكر كل ما مر بي أم لا؟

ولكني سأحاول جاهداً، فسأمحني إن عرفت شيئاً بعد
موتي، لم أذكره لك فقد كان سهواً.

وقد تقابل أشياء، لم أحك لك عنها، فكل يوم في عالم
الموتى جديد، لا تتعجب كلماتي فستعرف بالتجربة الكثير
وستثبت لك السنوات صدقي.

وفي انتظار حكم موتى وموعده:

أكتب إليك يا ابني، مذكراتي ولكني أحب أن أسميها
اعترافاتي، فبين طيات أوراق هذه المذكرات، ستجد الكثير من
الاعترافات لأشياء فعلتها بحياتي، أخطاء سيقت إلي في حياتي
أوسعت أنا لها، لا أعرف الإجابة الآن، فنحن نعيش في هذه
الحياة مسيرين ومخيرين ويختلط علينا الأمر أوندعي ذلك
لنبرر أخطاءنا وظروفنا.

ولكن اليوم، أنا اقتربت من النهاية، ستقول لي: كيف عرفت ذلك؟

لا أستطيع أن أشرح لك ولكنه إحساس يملكني، أعرفه

جيداً وأكاد أجزم به، ولكن لا أجد كلمات تشرح ما أشعر به الآن، ولكنني أعرف وستعرف يوماً يا ابني هذا الشعور، ولكن لا أريد أن تصل له مثلي مثقلاً بالهموم وتريد البوح والاعتراف؛ لذلك كتبت لك كلماتي لتجد فيها التجارب والعبر لتتفادي أخطائي وزلاتي، فأنت تعمل في نفس عملي وستجد تجاربي أمامك.

أتمنى أن تقفز فوق تلك الحفرات ولا تسقط بها، أخذت مهنتي عن أبي وأعطيتها لك ولا أعلم هل هذا في صالحك أم لا

ولكن رغم غرابتها، فنحن أناس اختارنا الله؛ لنقوم بها.



(اعترافات تربي)

المتنرد:

أعرفكم بنفسي:

اسمي: عادل.

أعمل تربى، لم يكن ذلك اختياري، ولكنني منذ أن صرخت
صرختي الأولى بهذا العالم وأمي تلدني، لم تلدني في مشفى ولا
ببيت جميل يطل حتى على شارع في حارة أوزقاق ولكن ولدتي
على قبر وكأني ولدت لأعيش الموت، ففي قلب الموت ولدت
أنا، ميت يصرخ فوق شاهد ضريح، كنت أنا الولد الوحيد بعد
فتاتين، فكنت بالنسبة لعائلتي، حامل الشعلة وولي العهد، من
سيحمل المهنة بعد أبي؟ الذي يعمل تربيًا أبًا عن جد.

في أول أيامي، لم أكن أعرف عن عالمي ومستقبلي الكثير،
طفل يحبو في عالم الموتى، مثلي مثل كل أبناء المهنة، نعيش في
صمت القبور، يأتينا الزوار متشحي السواد، يسكنهم الألم على
من تركوهم في رعايتنا، لم يكن يقام في منطقتنا فرح، ولكن
تأتي إلينا دائمًا مواكب الأحزان، بين صريخ وعويل وبحزن
يشق القلب، حتى تلك المواكب الصامتة التي يوصلها أهاليها

إلينا كأنما ارتاحوا من هم يثقل صدورهم، لم تكن البهجة تغلو وجوههم، ولكن هو حزن ووجوه واجمة، أعتقد أنها من باب الحياء واحترام الراحل حتى وإن كان رحيله قمة بهجتهم، يبخلون علينا بتلك البهجة فيدفونوها في صدورهم ويعطوننا نحن الراحل لندفنه في أرضنا وهناك المواكب الحارة التي تشق القلوب من الفزع القادم من صوت النسوة وصراخهم وعويلهم، حتى الرجال منهم يبكون ولكن في كل الأحوال، نحن مستعدون لمواكب الحزن؛ لتضيف إلينا زائر صامت جديد وبعض القروش التي تعيلنا، فنحن نرزق من فواح الناس وفي سبيل ذلك نقوم بواجبنا، فأمي دائماً متشحة بالسواد وكذلك جدتي، ولكن دور جدتي يختلف، فقد كانت تعمل مع جدي في دفن الموتى، لم تكن تقوم بالدفن ولكن كانت لها مهنة تدعى (المعدة) وهي عبارة عن امرأة تصيغ النواح في جمل لها قافية، تحفظها عن ظهر قلب، فكثرة الحزن تعلم البكا، وتعدد على الفقيد؛ لتحفيز النساء على البكاء واللطم وإظهار الحزن، وكان لها أجر نظير ذلك، عندما كبرت، تعجبت من عملها ومن طبيعة البشر، يدفعون لسيدة أموال مقابل أن تزيد من حزنهم على أحببتهم.

وكان أبي يساعد جدي بنفس راضية، لم يعرف الخوف لقلوبنا يوماً طريق، فنحن من يسكن أرض الخوف.

كبرت، وصرت شاباً في الإعدادية وأصر والدي على تعليمي خلافاً لأخواتي، فقد كانا بالمنزل لم يخرجنا من المقابر إلا بصحبة أمي لشراء مستلزمات لهم كل بضعة أعوام، فلا أذكر أن رأيتهم خارج إلا بضعة مرات، حتى لم تكذ أي منهن تصل السادسة عشر إلا وخرجت مع أمي لتشتري لها مستلزمات عرسها، فهي ستنتقل إلى حوش آخر ليس إلا لتبدأ شكل آخر من الحياة، فيحضرون لها بضع ملابس ملونة والكثير من الملابس السوداء؛ لتتشح به حتى دون حزن، حتى ذلك الشبه، حفل المقروض أن يطلقوا عليه عرس، لم يكن حفلاً ولا عرساً فالعروس تلبس الأبيض ومن حولها الفتيات التي يقارننها في السن يلبسن الألوان المبهجة ليحالفهن الحظ؛ لينتقلن لحوش آخر والأطفال فرحين باللون الأبيض المزركش، فهم يرون الأبيض في لون الأكفان ولكن لهذا الأبيض بريق آخر، وجميع المعازيم من النساء يتشحن بالسواد، ولا توجد موسيقى احتراماً للمكان، فقط بضع أغاني تطلقها العواجيز، فمن تعمل معدة هي من تقوم بالغناء، فيختلط عليك الأمر في لحظة.

أي النشيديين تقول، وبضع نقرات على طشت نحاس وتصفيق، وأحياناً تطلق إحداهن زغرودة تشبه الصريخ حتى الفرح، هنا يحمل سمات مواكب الموتى وكثيراً سألت نفسي: لماذا في بداية حياتنا ونهايتها نرتدي الأبيض؟ وبين ذلك نتشح بالسواد؟ ولكن أنا من كان يخرج كل يوم لمدرسته الإعدادية، فأبي أراد لي أن أرى الحياة بعيداً ولو لبعض الوقت، فهو حرم من ذلك، فقط أحضر أمي من حوش آخر وأنجبنا، لم يكن في حياته الكثير، فقط نحن والموتى، وغادر جدي حجرات بيتنا؛ ليسكن الحجرات التي تحتها، ولحقت به جدتي، لم أشعر أنهم فارقونا ورغم بكاء أمي وأبي، أنا لم أذرف دموعاً واحدة، فلم أشعر بغيابهم، فهم مازالوا في أرض الموت، فتحن الدخلاء عليهم، هي أرضهم، لا يجب أن يسكنها الأحياء، وكثيراً سألت أبي: لماذا نعيش هنا؟

لماذا لا نعيش بأي مكان، وتحضر هنا صباحاً مثلاً، وتذهب آخر النهار لبيتك؟

مثل باقي آباء زملائي، يذهبون للعمل صباحاً بالمصانع والوظائف ويعودون ليلاً؟

قال لي: يا ولدي نحن حراس المكان؟

قلت له صارخاً: هم أموات، مما سنحرقهم؟

هل سيسرقون؟

قال: يا ولدي، أنت صغير، لا تفهم، نحن من يحمل الأمانة، شغلنا دي نعمة كبيرة، بكرة تفهم قيمتها.

كان أبي راضياً بشكل غريب، وكنت أنا متمرداً بشكل يتجاوز الحدود، ولكن دائماً كان يذوب تمردي في رضائه ولمسته الحانية وقلبه الذي يحتوي الكون كله.

تخرجت من الإعدادية بمجموع صغير الحقني بالدبلوم الفني الصناعي بسهولة، وانتقلت إلى مكان أبعد عن مقبرتي، لم أكن أقول لأحد مهنة أبي لأنه كلما أخبرتهم أن أبي تربي، أصابة التشاؤم واستعاذ بالله مني وكأنني شيطان رجيم أو أبي إبليس، ومن يزيد الأمر ويقول: فالكم في داركم، وكلمات كثيرة تهين ما تبقى من كرامتي، لا أعلم لماذا؟

فكل الناس يموتون ولولا وجود مهنة أبي وأمثاله، لألقى

بهم أهاليهم بالطرقات أوحرقوهم مثلما يفعل سكان الغرب، ولكننا نكرمهم وندفنتهم دفناً شرعياً كما يقول أبي دائماً لي، ولكن لا أحد يقدر ذلك، ولكن تجد من شبابهم استهزاء بي، ومن كبارهم اشمئزازاً مني، وبعضهم يقاطعني حتى لا يريد أن يسلم عليّ، ومنهم من يعاملني بقرف شديد، وكأنني جرثومة ما.

عندما كنت صغيراً، كنت أرد عليهم وأقول لهم: ستأتون إليّ وسأدفنكم بيدي هذه التي لا تريدون أن تسلموا عليها، ولكن عندما كبرت أثرت عدم إبلاغ أحد بمهنة أبي، فهذه المهنة ستنتهي بعد موته، ولن أعمل بها، سأخرج من أرض الموتى بلا رجعة.

في العام الثاني الثانوي، حدثت أزمة الإسكان ووفد إلى أرضنا آلاف الأسر، ظهرت في أوائل الأمر على استحياء، فمنهم من ضاقت به دنيا الأحياء، فلم يجد خرم إبرة كما يقولون للسكن فيه، فحمل أغراضه وجاء يسكن بجوار أهله ممن سبقوه إلى العالم الآخر، قرر أن يشاركهم سكنهم بعد أن كان لا يفكر في زيارتهم للدعاء حتى أوزرع شجرة، ويكتفي

بإرسال الشهيرة للتربي إن أرسلها، ولا يتذكر إلا عند قدومه مع واحد جديد، أغلبهم كان يأتي وحيداً أومع زوجته وأولاده، ولكن سرعان ما يهجروه ويضيقون ذرعاً بتلك الحياة، ويتملكهم الخوف والهلع من المكان، فترحل إلى غير رجعة ويظل وحيداً بائساً، هو والأموات واحد، إما أن يلحق بهم أو ينتحر يأساً من حياته، ومنهم من يختلط بالجو فينسى حياته السابقة ويختلط بأهل المقابر، فيتزوج واحدة منهم، ويصبح من سكان الأرض وحتى إن بعضهم يمتن مهنة دفن الموتى ليتعايش مع الجو، وينجب أولاداً، تجدهم بين المقابر يتسولون الرحمة من زوار المكان، وكان أبي دائماً يهزأ منهم، ويقول: هؤلاء دخلاء على مهنتنا يا ولدي، لك أن تفخر فنحن تُربِّيَّة أباً عن جد.

لا أدري سر الفخر؟

ولكنني لم أكن أريد أن أقتل فرحته، فأسايره بابتسامة خفيفة تخفي ألمي وتضاعف حلمي أن أذهب بعيداً.

أنجبت أمي بعدي صبيّاً آخر، ولكن أبي كان دائماً يقول: إن عادل هو ولدي البكري ووريث مهنتي، وأن محمد جه

متأخر أوي، اللي هيربيه عادل مش أنا، أنا هلهق أبويا وأمي وعادل هو راجل البيت، حاولت أومي مراراً وتكراراً تزويجي ولكن بلا جدوى، لم أكن أريد أن أتزوج من أهل القبور حتى الوافدين الجدد، إما أنهم لا يريدون معاشرتنا لأنهم ينفرون منا ويعتبرون أنهم أفضل منا، فهم هنا لظروف قهرية ما إن تنتهي حتى يرجعوا لحياتهم أو منهم من أحب الحياة هنا وامتنع المهنة وأصبحوا مثل أهل القبور، وأنا لا أريد أن أربط بها طوال عمري، وأغلب الفتيات هنا لم يتعلمن ولا يعرفن الفرق بين الألف وكوز الذرة إلا قلة منهن، وهذه القلة مثلي تريد أن تمتد إليهم قشتهم من خارج الأرض لينقذونهن من هذه الحياة والبعض من الفتيات ما إن تجد أن أهلها عقدوا العزم على تزويجها من أقاربها حتى تذهب إلى غير رجعة، إما أن تكون قد أحبت أحدهم وتزوجته أو أن تعمل بأي شيء، المهم ألا تعود مرة أخرى، ويظل أهلها يحملون العار ولذلك كان أبي يرضي ضميره دائماً بهذه الكلمات ويقول الحمد لله إني معلمتش البنات وكفاية علي الصبيان عادل البكري ومحمد، لم يكن يعتبر محمد ابنه مثلي فأنا في منزلة متفردة ولكن يعتبره ابن لي وليس له.

وزاد عدد سكان القبور من الخارج حتى أصبحت من الأماكن التي يقال عليها عشوائية، فتبدل صمت الأرض ضجيجاً وتغيرت الحال ولكن لم يتغير حالنا فالظاهر اختلف ولكن الباطن كما هو، مع رحيل العجائز رحلت معهم مهنة المعدة وعلى استحياء دخل التلفاز قبورنا واحداً بعد الآخر، وتخرجت من الثانوية وأنا أشعر أن العالم كله ينتظرني وأن فرص العمل تنتظرني فقط إشارة لأختار مثلما أريد ولكني كنت واهماً وانضمت إلى صفوف التجنيد ودخلت إلى الجيش لأقضي فترة تجنيد ومعه أنها أخرتني عن خطتي ولكن كم كنت سعيداً في الجيش، فقد نمت لأول مرة خارج المقابر والأحواش، ومر العامان بمنتهى السرعة والسلاسة مع أن أبي كان يبكي لفراقني وأنا كنت أبكي في أجازاتي مع إني لم أساعده بعمله إلا قليلاً ولكنه كان يعتبرني سنده، لا أعلم لماذا؟

في الجيش تعلمت السواقة وأحببتها، فهي انطلاق دائم إلى الأفضل، إن لم يعجبك مكانك فقط، أدر مفتاح سيارتك وانطلق، وانتهت أيام جيشي وخرجت للعالم في عقلي، لن أعمل إلا سواقاً وبالفعل قدمت في كل عمل له علاقة بالسواقة، كل وظيفة تطلب سائق، وبالفعل تعينت في هيئة النقل العام وكأنه

كتب عليّ أن أوصل الناس أحياءً وأمواتاً ولكن لم يعلم أحد مهنة أبي، فتخيل أن من يقود بك الأتوبيس تربي، لن تطاء قدمك أبداً وكنت فرحاً بحياتي الجديدة رغم المعاناة اليومية والزحام، فقد كنت أحب الزحام جداً عكس كل السائقين.

ومرت الأيام بي سعيداً بالنهار، مهموماً بالليل واشتد بابي المرض حتى أنه لم يعد يقوى على العمل إلا منهكاً، فأبى كالشجرة يريد أن يموت واقفاً وفي يوم انتظرني حتى أتيت من عملي ونادى عليّ وقال لي:

- يا عادل، أنا خلاص هموت.

- بعد الشر عنك يا أبويا، متقولش كده.

- الموت مش شر يا بني، ده رحمة وأنا فضلت عمري كله أساعد الناس في الستر مبغاة اليوم ده.

- عارف يا والدي.

- بص يا عادل، أنا عارف إنك كاره يا ولدي شغلتنا دي ومتغصب منها، لكن لو تتدبر يوم محاسنها، هتحبها.

- أحب إيه يا أبويا، دي أسوأ شغلة في الدنيا.

- لا يا بني متقولش كده، بكرة تعرف من بعدي اللي جهلت أوصلهولك في عمري.

- يا أبويا متقولش كده، ده شوية مرض وهيمدوا.

- لا يا ابني، أنا نازل جنب أبويا وأمي بعملتي بس، هقابل ربي وارقد جنب أبويا، هو سماني صالح وأنا فضلت طول عمري أجاهد عشان أكون صالح وسميتك عادل عشان تكون عادل، لكل إنسان يا ولدي من اسمه نصيب، ولازم أعلمك كل شيء قبل ما أقابل وجه كريم، أنت طول عمرك نافر مننا وأنا سايبك براحتك وأقول بكرة يتعلم ويرجع ويشيل من ورايا ورثي وحملتي، لكن خلاص دنا الأجل وأنت نافر وأنا عندي حمل كبير لازم أرميه عليك عشان أرجع خفيف، مفيش عليه غير كفني.

أعترف أن مهنتي قد تكون مخيفة للكثيرين، فأنا شخصياً يخشاني البعض ويتشاءمون من ذكرني في مجالسهم، بينما

أعتبر مهنتي أحد نعم الله عليّ فهي تخرج الدنيا من قلبي
يوماً بعد يوم، جعلتني لا أركض وراء الحياة وملذاتها بل أعلم
جيداً ما نهاية أيامنا، وربما كان يدب الخوف في قلبي قديماً
حين كنت أعمل مع والدي، بينما الآن فلا أرفض أي حالة مهما
كان وضعها، فقد أمرنا بستر الميت ولا مجال للخوف في مهنتنا.

- طب عاوز تقول إيه يا والدي، هريحك، ارمي عليّ
همومك مادام مصمم، أنت عمرك ما شيلتني هم.

- بص يا ولدي، في شغلتنا دي، أنت لا بتراعي أهل الميت
ولا الميت، أنت بتراعي ربنا بس، في إيدك أمانة لازم
تحسن توصيلها، مهنتنا دي ربنا أوحى للغراب عشان
قابيل يداري سوء أخيه هابيل.

- عارف يا أبويا.

- لازم تكون دائماً طاهر عشان تستقبل الضيف الوارد،
ده ممكن يجي أي لحظة، تصحاً من نومك تتطهر وكل
صلاة يا ولدي تصبغ وضوءك عشان تجدد طهارتك.

- حاضر يا أبويا.

- لازم تتجوز يا ولدي، الجواز بيعصم من الخطأ
والخطيئة.

- لا، أنا كويس كده.

- وبعدين معاك يا ابني.

- حاضر يا أبويا، هتجوز.

أول ما يجي الميت تقول الدعاء: لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، له الحمد وله الشكر وله الفضل وله الثناء الحسن،
يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا
الله، لا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ولا
حول ولا قوة إلا بالله، اللهم صلّ على سيدنا محمد خاتم النبيين
 والمرسلين عليه أفضل الصلاة أتم التسليم

اللهم وأظله تحت عرشك، يوم لا ظل إلا ظلك ولا باقي إلا
وجهك، اللهم بيض وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، اللهم
يمن كتابه، اللهم وثبت قدمه يوم تزل فيها الأقدام، اللهم اكتبه

عندك من الصالحين والصديقين والشهداء والأخيار والأبرار،
اللهم اكتبه عندك من الصابرين وجازه جزاء الصابرين.

اللهم انقله من ضيق اللحود ومن مراتع الدود إلى جناتك
جنات الخلود، لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات
والأرض تغمد (أوتقول اسمه) برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا باسط اليدين بالعطايا، يا قريب، يا مجيب دعوة
الداع إذا دعاه، يا حنان يا منان يا رب يا أرحم الراحمين، يا
بديع السموات والأرض، يا أحد يا صمد، أعط (وتقول اسمه)
من خير ما أعطيت به نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عطاءً
ما له من نفاذ من مالك خزائن السموات والأرض، عطاءً عظيماً
من رب عظيم، عطاءً ما له من نفاذ، عطاءً أنت له أهل، عطاءً
يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانتك.

وندخله يا ابني، راسه ناحية تحت، أنت اللي تمسكها
وتدخله الغرفة بتاعته إن كان راجل في غرفة الرجال وإن كانت
ست في غرفة الحريم وإن كان طفل يبقى رحمة من ربنا ندفته
زي ما يقول أهله.

وتتيمه يا ولدي على جنبه اليمين وتفك الأربطة بتاعة

الكفن رباط رباط، وتحط على الميت شوية تراب وتسند به شوية
تراب من ورا عشان يفضل على جنبه اليمين، ميقعش وتدعي
يا ولدي وكل واحد وعمله بيكون قبره، وده سر رب العباد ملناش
فيه دخل ولا كلام، المهم احنا بنعمل اللي علينا ولازم ترفق
بأهل الميت وبالذات الشباب منهم مصيبتهم كبيرة واللي ميت
في حادثة ولازم تتأكد من إن نبضه خلاص، وإن جسمه تلج
وصبرهم حتى وإن اتعصبوا عليك استحملهم، والسيدات يا بني
نفض البصر وتحاول على قد ما تقدر متلمسهاش وماتطلبش
أجر، قول وحدووه وهما هيفهموا واللي يدهولك خده، ده أجر
تعبك إنما أجرك عند ربك.

وفاضت روح أبي إلى رب العباد ولأول مرة أذرف دموعي
على من رحل، فقد شعرت أنه رحل فعلاً ولم ينتقل إلى غرفة
أخرى مثلما حدث مع جدي وجدتي، وبقيت طوال الليل أبكيه
وتجمع حولي إخوتي وأمي وأبنائهم لأول مرة أرى الحزن في
العزاء والإحساس بالفقد الحقيقي وما إن أذن الفجر حتى
دخلت إلى الحمام فتحممت وتوضأت كأنني لم أتوضأ طوال
عمري، فقد اختلط الماء بدموعي ودخلت مع أعمامي لتفسيله
وتحضيره وأحضرت الكفن ولففته حول جسده وقد كانت تلك
أول مرة أقف أثناء تفسيل أحد وصلينا عليه واتبعت وصاياهم

كلها، فأخذت ادعي له وأتبع إرشاداته كما أملاها لي بالضبط،
وقد كانت تلك المرة الأولى ولم تكن الأخيرة، فقد نفذت وصيته
بالعمل في دفن الموتى، لا أعلم إن كانت إرضاء له أم هو قدرتي،
أتبعه أينما أكون، فقد كتب عليّ توصيل الناس أحياء وأموات،
بالنهار في عملي كسائق وكلما استدعى الأمر أوصلهم إلى
منازلهم الأخير.



(محمود بن عم حسين)

سأعترف لك يا ولدي، أنني كاذب، فقد قلت لك أنني لا أخاف الموتى ولا أهابهم وما هم إلا أجساد تركتها الحياة، فاصبحت لا حول لها ولا قوة، تأخذ دورتها في التحلل ولكني كاذب، فالموتى يا ولدي لهم أصوات تسمعها ليل نهار، منهم من يصرخ، ومنهم من يسبح، ومنهم من يبحث عن راحته، فلم يرتح بموته، بل بدأ شقاءه وأتذكر حين نهرتك آلاف المرات عندما كنت صغيراً وتقول أنني أرى أناس من حولنا يطوفون بأشكال مختلفة، كنت محقاً وأنا كاذب، كنت أراهم مثلما تراهم أنت، ولكني اعتدت أن أراهم وأيضاً اعتدت أن أنكر وجودهم ولكنهم موجودون أرواحاً هائمة تبحث عن مستقر لها في عالمهم بعد أن غادروا عالمنا.

- نعم رأيتهم آلاف المرات.

سأحكي لك أغرب حالاتي معهم حتى لا تخشى ما سيحدث لك منهم، ولا تخف يا ولدي، فالخوف لم يخلق لأمثالنا، ولا لمن يمتحن مهنتنا.

في إحدى الليالي، وقد كنت يومها لم يتعد عمري الرابعة

عشر، وكنت في الإعدادية في هذا الوقت، ونبت شاربى، ودبت الرجولة في أوصالي، ولم أعد ذلك الصبي، بل أصبحت شاباً، وقد تجمعت أنا وزملائي بالمدرسة ممن يسكنون المقابر مثلي ولاد التربيّة بعد المدرسة، رحنا الدرس وبعدها واحنا مروحين بالليل.

قال محمود بن عم حسين: تعالوا نروح الكشك نشتري سجائر فرط.

هو كان بيدخن ولكن أنا كنت عمري ما جريت أشرب السجائر قبل كده، ورحنا معاه وكل عيل طلع من جيبه اللي ربع جنيه واللي بريزة.

وقالوا: احنا كمان هنشتري ونجرب، احنا بقينا رجالة، ولازم نشرب سجائر زي أهالينا من الرجالة.

وأنا كمان اشتريت معاهم ست سجائر بنص جنيه، وكان صلاح خايف أبوه يشوفه، وهو بيدخن وأنا كمان كنت خايف، بس مرضيتش أبين إني خايف، فمحمود قال: خلاص نروح أي حوش محدش ساكن فيه ونشرب السجائر.

وفعلأ روحنا حوش مهجور من سنين، وقعدنا ندخن ونهزر ونكح ولا في دماغنا ولا في قلبنا أي خوف أوحى رهبة واحترام للمكان ولكن الظاهر إن سكان المكان من الموتى لم يعجبهم حالنا، فسمعنا أصوات تشبه الهمهمات، وسرعان ما انقلبت إلى صرخات متتالية أفزعتنا جميعاً، فجرينا خارجين من الحوش في خوف شديد إلا محمود بن عم حسين، متحركش من مكانه ولم يخرج معنا، اعتقدنا أنه ليس خائفاً أو أن ما سمعناه هو مجرد مقلب منه، فلم يهمنّا أمره كثيراً، بل واصل كل منا الركض إلى حوشه حيث أهله: ليشعر بالأمان هناك وفي اليوم التالي شق سماء الفجر صراخ وعويل.

كانت أم محمود التي وجد الرجال ولدها ميتاً أمام الحوش الذي كنا فيه وجرياً به إلى المستشفى، في محاولة يائسة لإنقاذه، فالجميع يعلم أنه قطع النفس وفارق الحياة، ولكن أمة كانت مصممة أن ولدها مازال على قيد الحياة، لم تصدق خبر وفاته، بينما أكد الطبيب أنه مات مسموماً وهذا كان غريباً، فجميعنا كنا نعلم أننا تركناه هناك ودخنا كلنا من نفس عليّة السجائر فكيف مات هو مسموماً ولكن لم يجرؤ أحد فينا على نطق كلمة، لو تحدثنا لقتلنا أهلنا أو اتهمنا أهل محمود

بقتله ولاشتعلت النار في المقابر بين العائلات، فمن كثرة خوفنا صممتنا جميعاً، وتم نقله إلى المستشفى ثم إلى ثلاجة الموتى، لم يهتم أحد بفحصه أو تشريحه، فالحالب أنه طفل تربي في الترب على الصدقات، ربما أكل طعاماً فاسداً من ذلك الذي يجود به أهالي الموتى عليهم، لا أعرف، اعتقدوا ذلك أولم يكن لنا قيمة في نظرهم لبذل الجهد وعمل المزيد، وهناك وقف الأب المكلوم، حيث استخرجت له شهادة الوفاة وتصريح الدفن، وبسرعة تمت إجراءات الغسل والصلاة والجنائز، وتمدد جسده بجوار جثمان عمه، واستقبل أهل العزاء وسط حالة من الحزن على العريس الشاب الذي خطفه الموت في ريعان الشباب حيث كان على أول طرقات الرجولة، وبعد ذلك حدث ما لم يتوقعه أحد ولم يخطر على عقل أي منا، سمعت أصوات كثيرة في مقبرة محمود، مما جعل أهل الذين يسكنون نفس المكان يتقزعون بين لحظة وأخرى، بين أنها أوهام أو أحلام يعلمون بها من صدمتهم، فقد مر على دفته ثلاثة أيام قبل أن تظهر هذه الأصوات والهمسات في جوف الليل، ولكن حسم خاله الأمر وقرر فتح المقبرة على ابن أخته؛ لينهي كل شك في قلبهم وقلبه فالأصوات ليست غريبة عليهم، فقد اعتادوها فغالباً ما تسمع

به أرجاء المقابر لعدة أسباب وهم يعلمون ذلك، رفع الخال الغطاء المؤدي إلى المقبرة، فوجد محمود يجلس ملتقاً بالكفن وقد تغير حاله كثيراً، كأنه كبر مائة عام وفي حالة إعياء شديدة حتى أن الشيب عرف طريقه إلى رأس ابن الأربعة عشر عاماً.

جروا به سريعاً إلى المشفى للمرة الثانية، ولكن الحال غير الحال الأولى كان ميتاً قاطع النفس ولكن تلك المرة، هو تائه بين عالم الأحياء والأموات، لم يخبروا أمه فقد أغلقوا عليها الغرفة منذ نوا أن يفتحوا القبر، خشية أن تنزل إليه وتتعلق به ويهاها منظره، فقد أشفقوا عليها ولكن ها هو يعود إلى عالم الأحياء مرة أخرى، لم يخبرها أحد أيضاً، فقد انشغل الجميع بمحاولة إنقاذه عله يعود إليهم أوموت ثانية، فلا تجرب حرقة القلب مرتين، وتسألنا إليه ليلاً؛ ليخبرنا عما حدث، كان تائها ولكنه يتذكرنا ويعرفنا جيداً وقد نهرنا لهروبنا جميعاً وتركه وحده في تلك الليلة. وحكى لنا أن الصرخات أصبحت متتالية وبشكل عنيف أفقده توازنه حتى شعر أن الصوت ينفذ إلى داخل جسده فيهتز، لا يذكر أنه خرج من تلك المقبرة، ربما يكون مشوشاً من الصدمة، فقد وجد الرجل خارجها، لو كان داخلها ما كانوا علموا بأمره أبداً إلا بعد أن دللنا عليه

وأخبرناهم وحمدنا الله أنه خرج حتى لا نقع في ورطة، وأقسمنا عليه ألا يحكي حتى لا نعاقب جميعاً، بدا موافقاً ومستسلماً إلينا على غير عادته، فهو مشاكس من الدرجة الأولى ولكنه تغير، بدا أكبر سناً، ولكن ما أخافنا حقاً هي عينيه فكلما نظر إلينا شعرنا أنها تنفذ إلى داخلنا وقد تغير لونها، فأصبحت مثل أعين القطط لامعة ومتغيرة اللون، لا أذكر أن عينيه حتى كانت بنية، ولكنها الآن نراها رمادية أحياناً وزرقاء أحياناً أخرى، حكى لنا أنه أفاق بعد وقت لا يعلم مدته، ووجد أن الظلام دامس، فتحسس المكان حواليه فلاقى الميتين مرصوصين جنباً في كل مكان، الدنيا كانت ضلمة، صرخت بأعلى صوتي لدرجة أن شعر رأسي وقف، بعدها قعدت أرتعش من البرد والخوف.

وأكمل محمود بأنه بعدما فاق كده لنفسه، قعد يصرخ، وحاول الخروج من القبر باتجاه السلالم المؤدية لباب المدافن، فهو عارف كل حته في التراب، وأكمل: «قعدت كثير على السلم أصرخ وأنادي ولما كنت بتعب كنت بروح في النوم ثاني وأصحا معرفش قد إيه قعدت أخبط وأدعي ربنا يبعثني حد ينقذني، وبعدين لقيت حد فتح، الأول معرفتش وبعدين عرفت إنه خالي أحمد من صوته، وسكت فجأة ولعت عيناه، كأنه نسي

أحبا مين وقعد بيصلنا كأننا أغراب، خفنا أوي منه وجرينا ثاني بره المستشفى، لحد ما رجعنا بيوتنا ثاني يوم، أمه عرفت اللي حصل، لبست جلابية بيضاء وقعدت تزغرط وتقول كنت عارفة إن ضنايا لسه عايش وراحت له المستشفى ولكن أول ما شافته، صرخت في وشه، واتبدل حالها وقالت ده مش محمود، ده اتبدل، ده مش ابني، فين ابني يا حسين، ده مش هو، وفجأة الدمت في الأرض، ومطلعتش صوت ثاني، ماتت والكل واقف في ذهول، لا عارفين يفرحوا باللي رجع، ولا يحزنوا على اللي هارقت.

بعدها فضل محمود في المستشفى فاقداً للقدرة على الكلام لمدة ثلاثة شهور كاملة، مرمي في المستشفى، محدش عارف إيه جواله؟ حتى أهله مبقوش يزوروه، كلمات أمه خوفت الكل منه، ولون عينه، والناس قالوا إن محمود مازال ميتاً، وأن من خرج من القبر يومها عفريت، أبدله ملوك الجن فسكنوا جسده وآلاف الحكايات نسجت عنه، وأنه بطل كلام بعدما كان بيتكلم لأنه مش إنسان، وبعدها المستشفى كمان رمته بره، لم يهتموا بأمره أول مرة، ولم يهتموا في الثانية، فخرج إلى الشارع ولم يجده أحد بعد ذلك إلا مشاهدات، الناس بتقول إنه بقى من المشايخ

والدراويش في سيدنا الحسين، وناس بتقول إنه بيجي بيطوف بالليل في المقابر جنب المقبرة المهجورة، ويمشي قبل الفجر، أما أنا فكنت ممن يرونه هناك، كلما مررت من جوارها، أراه يدخل سيجارته تلك التي أدخلتها إلى تلك الدوامة غير مبال بما يحدث حوله، وينظر إلي بتلك العينين التي تخترقني، فأمر من هناك سريعاً، لن أنسى هذا اليوم طوال عمري.



(العضامة)

أنت تعرف يا ولدي أن غرفة الدفن مساحتها مترين وعشرة سنتيمترات من كل جانب، مثل حجراتنا التي نسكنها فوقهم مباشرة، لا تختلف كثيراً، وأنت تعرف أن تلك الغرفة السفلى تسع ألفاً من البشر، عكس غرفتنا كلما كان يخبرني أبي ذلك، أعتقد أنه يبالغ ولكن ما حدث في عصر يوم من الأيام، لن أنساه أبداً، ففي ذلك اليوم، دب الرعب بأوصالي، وأبي موجود ولم يكن ذلك في حساباني، فقد كان أبي هو درعي الحامي، كلما خفت، عدت إليه، ففي حضرته يذهب الخوف والحزن معاً، ولكن ذلك اليوم عرفت شيئاً، لم أكن أعرفه من قبل، وأنت تسمع عنها، ولكني لم أشأ أن تراها يوماً ما، فقد جاهدت طوال عمري لإخراجك خارج مدينة الموتى، وإن كنت عجزت عن ذلك بالمكان، ولكني أعتقد أنني نجحت بإخراجك من كل ذلك الجنون، وتلك المهنة، ولكنه قدرك أن تحمل عبثي وترث مهنتي أيضاً.

ذلك اليوم أحضر أبي قماشاً أبيض كثير، ذلك المدعو بالقماش البفتى، فلا توجد أسرة هنا لا تعرفه، وجلس وقطعه إلى قطع صغيرة أكثر من عشرة قطع من دون مقص، وعندما أحضرت له واحداً.

قال لي: يا ولدي، لا يجوز شرعاً، فهو مغيط بلا حديد.

لم أفهم ماذا يعني؟؟ ولكنه أعد كل شيء، وأخذني بيده، ونزلنا سوياً إلى حوش من تلك الأحواش التابعة لنا، ودخلنا بروية، وقد كانت غرفة الرجال، وجلس أبي في الأرض يحضر حتى وصل عمق حفرة إلى حوالي متر، وجلس يستريح، وأنا داخلي ألف سؤال، فلم نعتد الحفر إلا في اللحد أما الغرف فلا حفر فيها، فقط نفرش طبقة من الرمل، وينام أبي مكان الميت حتى يتأكد أنه مستقر في رقدته وسمكه، وأن الرمل لا يحوي أي أحجار أو خلافة، تقلق راحة الميت، وكثيراً ما كنت أتعجب من حاله، فالمتى فارقوا الحياة، فكيف يشعرون بالحصوات؟؟ ولكنه كان يقدس مهنته ويكملها كما يجب، ويرقد الميت على جنبه اليمين، ويسنده بالرمل حتى لا يقع بعد أن يفك شرائط الكفن بعناية، ولكن تلك المرة يحضر حفرة عميقة جداً، وقال لي: اليوم سنعيد تكفين هؤلاء الموتى! لنضعهم في العضامة.

ولم أفهم لماذا نفعل ذلك؟

ولكنه قال لي: حتى نفسح مجالاً لضيوف آخرين.

وبالفعل أخذ يفك كفن إحدى الجثث بعد أن اهترئ كفنها واصفر لونه، ولم يعد يحوي سوى هيكل عظمي، وأخذ يلملمه داخل إحدى تلك الأكفان الصغيرة بعناية شديدة، كأنه جراح ماهر وأنا تملكني الخوف والهلع، لم أشاركه العمل من كثرة خويفي، ومنعني كبريائي عن إعلان خويفي، فأعلنت اشمئزازي مما يفعل فقط، وبالفعل جمع كل ميت في كفنه الصغير، ووضعهم في تلك الحفرة.

قلت له: لماذا لا تضعهم جميعاً مرة واحدة وننتهي؟

قال لي: مستحيل، فتلك أمانة، لا يخلط العظم بالعظم، وبالفعل ما إن انتهى من حجرة الرجال حتى ذهب إلى حجرة النساء، وفعل مثلما فعل ولكن تلك المرة كان أشد حرصاً ألا يلمسهن إلا بلمحة، ولبس بيده جوارتي لحرمتهم ووضعهم في حفرة أخرى بحجرتهم، وانتهى من ذلك، ومنذ ذلك اليوم، عرفت كيف يسع القبر المئات.

وعندما قلت له: لماذا لا ندفن في لحد ونخلص؟

قال لي: ونجيب أرض منين يا ولدي؟ الأحياء ماليين الأرض.

معدش للأموات مكان، ولا حد من العائشين عاوز يتنازل عن مكانه.

يومها لم أنم لعدة أيام متخيلاً أن هذه الحفرة تخرج مئات
الأموات يطوفون حولي.



(صرخات سمر)

في تلك الليالي، ربما كنت أتوهم أنني أراهم نتيجة صدمتي
بالمضامة، ولكنني لا أنكر أن رؤيتهم حولي آلاف المرات، كنت
أنهيك عن قول ذلك وأقسي عليك لمحاولة إبعادهم عنك، فلم
أرد أن يملكوا حياتك، مثلما فعلوا معي.

نعم، أنا أرى أشباحهم أو عفاريتهم أو أي كان ما يسمونها،
إنهم يسرون معي بالطرقات، فأراهم أحياناً جليين أمامي في
شكل قطط تسير ليلاً، وتحوم حولي محاولة إخباري قصص
أصحاب تلك الأرواح، وأحياناً أراهم أطيافاً، تمر سريعاً ولكن
إن حدثت واخترقتني يوماً، كنت أجلس أرضاً فيضيق صدري
وأشعر كمن شل شللاً مؤقتاً، فتوقفت جميع وظائفه.

هما أقوياء يا ولدي، ونحن ضعفاء، مهما ادعينا غير ذلك،
لا أنسى يوم أن جاءت تلك المرأة، كان الليل قد انتصف منذ
قليل، وسمعت منادياً ينادي عليّ: قوم يا حج عادل، معانا أمانة.

وقمت سريعاً، وفتحت الباب، وجدت موكب الحزن واقفاً،
ولكن قسمات الناس تحمل أكثر من الحزن، تحمل قسمات
وجههم شعوراً بالقهر، ونظرت للأوراق سريعاً؛ لأجد أن الميتة

أوبالأحري القتيلة فتاة، لم تتعد الثالثة والعشرون من العمر، قتلت على يد زوجها بشكل بشع، فقد دفعت حياتها مقابل ملعقة غير نظيفة من زوج آدمخ الخمر، فذهبت بعقله، فأخذ يضربها حتى فارقته الحياة، وهي تحمل في بطنها ولده بالشهر الخامس، اقشعر جسدي، وأنا أسمع القصة من مفتش الصحة الذي أتى معهم خصيصاً؛ لأن أهلها تكلى وغير مصدقين.

كانت تحمل اسم سمر، فتحت لهم القبر ووضعتها، وأتممت كل شيء، ووقفت أدعو لها، كان أبي يبلغني أن الموتى يخافون، وبالأخص هؤلاء الذين يدفنون ليلاً، فلا يترك باب المقبرة إلا بعد ساعة كاملة لطمانتهم، وكان يرفض قدر المستطاع دفن الموتى ليلاً إلا إذا اقتضت الحالة ذلك، وهذا اليوم فعلت مثلما كان يفعل أبي، وأقسم لك يا ولدي أنني وأملك كنا نسمع صراخها كل ليلة، وتوسلاتها لزوجها أن يرحمها هي وطفلها، ولم تكن تهدأ نهائياً، وكان يسمعها كل من يسكن بجوارنا، ولم تصمت رغم إحضاري عشرات الشيوخ، فهي روح هائمة غير مرتاحة، ولكن ذات يوم لم نعد نسمع صوتها، فقد صمتت قبل الفجر بقليل، ولم نصدق أنفسنا، فقد عشنا في هذه الحالة ما يقارب العام والنصف، حتى اعتدنا صرخاتها، ولم تصرخ

بالليلة التالية من أولها فحمدنا الله، ولكن كان داخلي سؤال: لماذا صمتت فجأة؟

وقد جاء الرد ظهراً حيث أتت أمها تلبس اللون الأبيض متهللة الوجه، وكأنها تحمل بشارة لابنتها أن قاتلها قد أعدم منذ عدة ساعات.

فعرفت، لماذا صمتت؟؟



(أطفال تطوف ليلاً)

في الترب تشوف العجب، حاجات ولا كان عمرك تخطر
لك على بال حتى، وأنا شفت كتير أوي، بس في حاجات من
بشاعتها، وإنها عايشة معاك يوم بيوم، ممكن تتعود على كل
حاجة إلا الحاجات دي، ومن ضمنها إنك تشوف أطفال بتطوف
وتلف في الترب طول الليل، تخبط على كل البيبان، وتتادي على
الأطفال، يطلعوا يلعبوا معاهم بره الأحواش، ومحدث بيفتح لهم
أبدًا، الناس بتكتفي إنها تبص عليهم من وراء الحديد، والرعب
مالي قلوبهم على عيالهم اللي بيندهولهم بالاسم، وكل ليلة أول
ما يبدأ الندهان زي النداهة اللي كنا بنسمع عنها في الحواديت،
يجوا بعد الساعة اتناشر، ويندهوا، مش قولتلك: الترب مسرح
كبير، ويبدا فيه العرض بالليل، يبدا الرعب، والأطفال دول
كانت حكايتهم غريبة أوي، كل اللي يعرفها بيكي على حالهم،
ورغم الرعب والخوف منهم، لكن كانوا بيصعبوا علينا.

كانوا ثلاثة: سمر، وإسلام، وعبدالله، الثلاثة كانوا إخوات،
أبوهم قتلهم، أيوه يا بني متستغريش، أبوهم دبجهم بالسيف في
ليلة بالليل في نفس الوقت اللي بيطلعوا فيه كل ليلة.

الأول دبح إسلام الكبير، طير رقبته بالسيف خالص، وكان
بيظهر على هيئة موته، شایل راسه على إيده، وواقف ينده
للعيال، الأول كانوا فاكريته عيل ماسك كورة من عيال الترب،
أتاريه ماسك رقبته اللي طيرها أبوه بالسيف.

وسمر كانت رقبته مقطوعة بس مدلدلة منها على جنب،
ودي مكنتش بتنده على العيال، دي كانت بتعيط، وتقول للعيال:
بابا قالى مش هيدبحني، بس دبحني يرضيكم كده؟

والتالت عبد الله، كان عيل صغير ميعديش ٥ سنين، وكانت
رقبته مدبوحة بس موجودة مكانها، وكان جريمة قتلهم البشعة
دي معروفة في مصر كلها زمان، لو واحد كان يقتل الدنيا تتقلب
عليه، وفي زماننا ده بقت الناس بتقتل عيالها ومراتها من الفقر
والعوز بيقول يريحهم، واللي بيخسر فلوسه فيقتل عياله عشان
ميعشوش في أقل من مستواهم أو أن التجارة كانت باسمهم كمان
فمايتسجنوش معاه، إنما العيال دي أبوهم قتلهم وساب أمهم
عشان سبب تاني خالص، كان بيضحي بيهم أضحية بشرية عشان
يثبت إنه نبي، تتخيل دبح عياله بالسيف عشان يلفت النظر ليه
والإعلام عشان يقولهم أنا نبي، وأنا المهدي المنتظر، والغريبة إن

الراجل مكنتش مجنون ولا بيان عليه، العكس كان راجل محترم،
مدير في الحكومة، وفجأة زي ما يكون اتلبس واتغير، بدأ يدعي
إنه بيوحى إليه حاجات، وإنه بيشوف علامات النبوة، وإنه لازم
الناس تعرف إنه نبي وذو بأس شديد، فقتلهم وساب مراته، لو
كان قتلها كان أرحم لها، كانت بتيجي الترب كل ليلة قبل الفجر،
وتشوف أشباح عيالها، وهما كده وتلمهم حواليتها وتلعب معاهم
لحد ما الفجر يأذن، ويختفوا، تفضل تلف عليهم في الترب من
الفجر للعصر، والأخر تتعب تترمي في أي مكان وتنام، وتصحا
بالليل ترجع لهم تاني، لحد ما اليوم اللي اتحكم عليه بالإعدام،
وقفت ماسكة الفاس في قلب الترب ومنعت أهله يدفنوه مع
عياله أبداً، وساعاتها بقوا واقفين بيه عمالين يكلموا الناس
عشان حد يرضى يدفنه عندهم، والكل رافض واللي يكلموه
يقفل في وشهم السكة، لحد ما الليل قرب يدخل ولا في فائدة،
لا بتتعب ولا بتغفل ولا هما لاقين مكان تاني.

لحد ما جه الحاج إسماعيل كبير الترب، وقال: خلاص ندفنه في
ترب الصدقة وخلاص قبل ما ريحته تطلع، ملهاش حل تاني، ورحنا
دفناه هناك، ومجالوش حد يزوره إلا أخوه، كل فترة يجي يقراله
الفاتحة، ويترحم عليه ويمشي كأنه بيسرق، مش عاوز حد يشوفه.

والست فضلت على حالها كده، تيجي كل ليلة تلم عيالها حواليتها وتلاعبهم وتمشي، وأهلها افكروا إنها اتجننت لما قالت لهم: إنها عايشة مع عيالها فسابوها في الشارع، تعبوا من إنهم يرجعوها وتهرب، فسابوها وكل واحد عاش حياته ونسيوها، ولما فتحت غرزة الكيف، كانت بتيجي تقعد قدامها كل ليلة لحد الساعة ١٢ بالليل، وكانت بتصعب عليّ فاديتها شوية مناديل ولب تبيعهم عشان تاكل من تمنهم، بس التمرجي حسونة الزفت علمها الكيف، وبقت بتضرب حقن زيه، ولما قولته: ليه يا واد أنت؟

قالني: دي الكيف ليها رحمة، الست هتجنن عشان عيالها، قلت أرحمها شويه، أهو هيغيها عن الوعي وعن التفكير فيهم.

ساعتها حسيت إن كلامه مقنع حتى بعد ما اتقبض عليه، ودخل مستشفى المجانين، أنا مقطعتش عنها الحقن والكيف، اعتبرته صدقة، مكنتش باخد منها مليم تمنه، وحسونة برضة مكنتش بياخد منها، رغم إنه أسوأ خلق الله، لكن شهادة حق، عمره مبصلها بصة وحشة، وكان بيقولي: ده علاج ليها، متستغريش يا ابني، النسيان نعمة، وفي الحالة دي الكيف كمان نعمة، ومنعت أنا كمان أي حد يقرب لها من مقاطيع الترب، لا

ياكلوها لحمة حية ويفلوها زي حريم الترب، وقلت لهم: لا دي ابني أنا.

وكانت في حمايتي لحد ما اتقبض عليّ، مش عارف دلوقتي، جرالها إيه ولا راحت فين؟ ماهو كده الغلبان مش بيشيع غلب.



(الصديقين)

وكمآن يا ابني شوفت في مهنتي العجب، اتعلمت منها إن
الدنيا دي غريبة، وفيها ناس زي السبحة، إن فرطت واحدة
بنفرد كلها، عمري ما اتخيلت إن الحزن ممكن يموت إلا لما
شفت بعيني، لما طلعت معاش وبقيت قاعد ليل ونهار في الحوش،
بقيت بزهد من القاعدة، فبقيت أروح الجمعية الشرعية، أغسل
هناك، وأهو منه برضه رزق داخل، ما هو أنا معرفش إلا
السواقة والموت، والسواقة الصحة ولا النظر بقوا بيساعدوني.

فقلت: أنا كده كده رايع للموت، معدش لي غير.

في يوم كنت قاعد في المغسلة، وجابوا شاب في الثلاثينات
من العمر، جابوه وكان معاه ناس كتير إخوانه ومعارفه والكل
قلبه محروق عليه، فقلت للمساعد: طلعم بره، مش هينفع
كده.

وخرج الكل حتى أبوه ماعدا واحد بس رفض يخرج نهائياً،
وكان مقهور عليه بشكل لا يحتمل، وكنت فاكده أخو الميت، فقلت
له: خلاص يسيبه. ولما بدأت في خلع ملابسه، وجدت الشاب ده
بيكي بحرقة شديدة بصوت، فاستفريت في ده فحاولت إنني أركز

في عملي، إنما من شدة بكاء الشاب لم أستطع، هذا دعائي إلى سؤاله، فقلت له: الله يجزاك خير، ادعو لأخوك بالرحمة، فهو الآن لا تجوز عليه إلا الرحمة.

فقال لي وهو يبكي: إنه مش أخي!

فاستغربت إزاي مش أخوه، ويقوم بإخراج أبوه ووالده وإخوانه من مكان الغسل ويبقى هو لوحده!

حاولت أن أهديه، وأجر معاه كلام علشان أخفف بكاءه.

فقال لي: يا عم ده أكثر من أخويا، ده وأبي.

فقت له إزاي؟

قال لي: يا عم عادل، درسنا الابتدائية سوا، ودرسنا الإعدادية سوا، ودرسنا الثانوية سوا، وتخرجنا من نفس الكلية، واتعيننا احنا الاثنين في شركة واحدة، وتزوجنا أختين، وربنا رزق كل واحد ولد وبنت، وساكنين في عمارة واحدة، كل واحد آخذ شقة قبال الثاني، كل يوم نروح للشغل بعربية واحد فينا، حتى مكناش بنفترق، مين يسوق عربية مين.

ورجع يبكي ثاني، واحنا بنصب الميه على جسم زميله، فقلت له: أنتم كنتم زي الإخوات بالظبط.

قال لي: أكثر يا عم عادل، أخويا ابن أبويا وأمي مش بشوفه إلا في المناسبات النادرة جداً، كنا بناكل ونشرب سوا مش بنفترق إلا وقت النوم بس.

كنت خلصت شغلي وخرجوا عشان يدفنوا، ورحت معاهم حتى في القبر مكنش عاوز يطلع منه إلا بالعافية، وقلت في نفسي بكرة ينسى صاحبه، الدنيا بتلهي الناس.

ثاني يوم العصر، جابوا لي ميت ثاني، وكان برضه شاب، وكان الموقف يتكرر، حتى الناس في منهم نفس الناس، قلت: إيه ده؟ جايز يكون أبو الميت بتاع امبارح، مات وراءه، بكشف وشه، لقيته الصاحب، رقد مكان صاحبه ميت، اتخضيت، مصدقتش لدرجة إنني هزيت كذا مرة، وقيست نبضه لا يكون في حالة إغماء أو غيبوبة سكر بس، فقلت للراجل اللي واقف إيه سبب وفاته؟

قال: زوجته كانت بتصحيه عشان ياكل لقمة قبل العزاء بتاع
صاحبه مردش، قلبته، كان قاطع النفس، جنبنا دكتور قال: سكتة قلبية.

أول مرة يومها، أحس إن في الدنيا حزن يموت.



(عبير)

محكيك قصة عبير، ودي واحدة من مائة واحدة جولي
وساعدتهم، لكن مش فاكّر منهم إلا عبير، أساميههم ووشوشهم
دابت مني في الأيام، ولكن عبير عشان كانت أول مرة مقدرتش
الساها، جاتلي في يوم الظهر، وكانت شابة متجيش عشرين
سنة، ومعها حماتها جراها جر وراها، وقالت لي بالحرف:
البت مش بتخلف بقالها سنتين، وعاوزين نخضها عشان تحمل.

قلت لها: واخضها إزاي يا حاجة يعني؟

قالت لي: خليها تنام مكان الميت في الترب، هو أنا بقى
هفهمك يعني إيه؟ أشيل الميت وأنيمها مكانه؟

لا، لازم تكون أقدم تربة عندك، ويكون خلاص العضم داب
وانتهى، وهي تنام عليه.

يعني لازم تربة قديمة، يا مينفعش؟

أصلي تربى جديد ومعرفش إزاي أنيمها في الترب؟؟

والست بتتكلم، كنت شايف الرعب على وش البننت، بس زي ما
يكون مفيش في إيدها اعتراض ولا حيلة، لازم تنفذ أمر حماتها.

طلعت الست من جيبها خمسمائة جنيه، وده كان مبلغ كبير
أوي، كان ممكن أشترى بيه عربية، وساعتها معدتش شايف لا
عبير ولا خوفها، كنت بس مركز هاخد الفلوس دي إزاي؟؟

قالت لي الست: إنها لازم تنام مكان ميت في أقدم حوش
بالمنطقة .

قلت لها: طلبك عندي، هنيمها مكان سليمان باشا نفسه لو
عايزة.

وساعتها الست فهمت إنني وافقت والفلوس عملت شغلها معايا.

وفعلأ خدنا البنت من إيدها ونزلتها بإيدي تربة سليمان
باشا، وكان الموضوع صعباً، عشان كان الباب مصدي من قلة
فتحها، ولكن نجحت في الآخر، ودخلتها وقفلت عليها الباب
من برة، وكنت سامع صريخها لحد ما حماتها أمرتها تخرس
خالص، لا تتلبس من خوفها سكنت، وبعد شوية فتحنا عليها
الباب، وكانت روحها رايحة ووشها أصفر لدرجة إنني اضطرريت
أشيلها عشان أخرجها برة القبر، وقعدت عندي هي وحماتها
باقي اليوم، على ما قدرت تمشي، بس الست كانت مستعجلاها؛
لأنها لازم تروح الليلة وتنام مع جوزها عشان تحمل، لا يروح أثر

الخصه، فتكرر تاني، فقامت البنت جري وراها، ومشيووا، وأنا
كنت مبسوط بالفلوس، وكل ما كنت أحس بالذنب، أحط إيدي
على جيبتي، أرجع أطمئن تاني.

وأنا معملتش حاجة تضرها، هي جاية بمزاجها، وماشية
من عندي على رجليها، كنت دايمًا بقول لنفسني كده، وجت
واحدة ورا الثانية، كانوا كلهم بالنسبالي عبير، لا بقيت أسأل
عن اسمها ولا مشكلتها، أجرها من إيديها على قبر سليمان
باشا، وأقفل عليها، وبعد كام ساعة أرجع أشيلها، وأرجعها
تاني، ده أنا حتى بقيت خبير، وبنصحههم شوية نصايح عشان
الموضوع يكمل وتحمل، وأوصيها لازم تيجي بالبشارة والحلاوة.

بس في يوم، رجعت عبير بعد كام سنة، والمرة دي هي اللي
مقدمة الخطوة، وحماتها وراها ولكن في وشها قهر سنين، وجت
وقالت لي: إنها لازم تنام في الترب تاني.

بس المرة دي معاها حجاب شيلاه في رقابتها عشان تحمل؛
لأن الشيخ قالها إن معمولها عمل، ولازم تنام في الترب، وتتخض
عشان تحمل. صعبت يومها علي؛ لأنها جاية برجليها للربع
تاني، أكيد اللي سابته وراها رعب أشد، وساعتها دخلتها.

بس المرة دي قبل ما أخرج قالت لي: عاوزاك يا عم عادل
في موضوع. كانت حماتها عندي في الحوش، قالت لها: خليك،
أنا عارفة طريقي.

قلت لها: خير؟

قالت لي: أنت متجوز؟

قلت لها: أه.

قالت لي: مخلف؟

قلت لها: أه.

قالت لي: خلاص، أنا هديك الفلوس دي، بس عاوزاك تنام
معيا.

اتخضيت جامد، وقلت لها: إيه؟

قالت لي: جوزي العيب فيه مش بيخلف، وأنا كل يوم وصفة
وشيوخ، بس أنا رحت من وراهم للدكتورة، وقالت مفكيش عيب
وخلي جوزك يحلل، ولما قلت كده ضربوني، وهددوني بالطلاق،

ليلة جوزي أصحاب مراكز، وأبويا تاجر، وإن اتطلقت كل شغله
وحياته هتنتهي، وإن مخلفتش هيجبيلي ضرة، وأنا مقدرش
استحمل ليلة واحدة، وأنا بحبه، وانت شايف حماتي زي ظلي،
ساعدني أجيب العيل وهديك اللي أنت عاوزة.

اشمعني أنا؟ سؤال لقيت نفسي هموت وأعرف إجابته.

لسببين: أنا عمري ما بروح مكان لوحدي، يا أهله معايا،
يا أهلي، حتى لما أهلي كشفوا عليّ، ودوني لدكتورة، ومقدرش
الجا لحد من الخدم، وأحط رقبتني تحت سيفه، وهيبقى ليل
ونهار قدامي، وممكن يطمع فيّ ثاني، يا يفضحني، وأنا مش
عاوزه أخون جوزي، هي مرة، يا نجحت، يا هواجه مصيري
بشجاعة، وأنت بالذات متعرفنيش، وهتستكفي بالفلوس، أنا
شفت الخمسمائة جنيه عملوا فيك إيه، أنا هديك ألف.

مفكرتش كثير، دقايق وكنت نايم معاه، البت حلوة
وشيطاني غلبني، قعدت معاه ثلاث ساعات، ولما خلصت
ورجعت لحماتها برضه، كنت شايلها زي المرة اللي قبلها، ولما
سألتني: مجتش ليه؟

قلت لها: كانت خائفة، قعدت معها هناك، خفت يجرالها
حاجة، أنا مش ناقص.

ومن يومها راحت مشوفتهاش ثاني، بس جاتلي حلاوة
حملها، والبشارة مع حماتها بعد كام شهر، ويومها حسيت إنني
اتهديت قوي، الموضوع لم ينته في المقبرة، ولكني لا أستطيع أن
أفتح فمي، فقط عرفت من الست اسم عيلتها، وأين يسكنون؟
واسم ابنها زوج عبير وكفى، وظللت بعدها بضع سنوات أذهب
إلى هناك لأرى طفلي من بعيد فقط، وبعد مدة نسيت الموضوع
كأن لم يكن، ولا يمر ببالي إلا كل بضع سنوات أفكر فيها ثم
أقول ربنا رحمها، إنها هتطلع بنت ناس كويسين وعيلة وفلوس،
مش بنت تربى وتعيش عمرها كله في الترب مدفونة وهي
عايشة.



(التربي بيحب)

سأتكلم يا ولدي عن أمك، وكيف تزوجنا؟

فبعد موت أبي، واقتراب أمي من اللحاق به، لم أجد حلاً سوى أن أسمع لها، وأسعى للزواج، وبالفعل دق قلبي لفتاة، كانت تركب معي كل يوم إلى عملها، حيث أقود الأتوبيس، وكنت أحرص على المرور بمحطتها بالموعد حتى لو فوت بعض محطات وسط سخط الركاب، الأهم أن ألحق بها، وكانت تبدو من أسرة فقيرة الحال، فهي تذهب إلى العمل في التاسعة صباحاً، ولا تعود إلا في العاشرة مساءً، حيث تعمل بمحل لفساتين الفرح في الزمالة، وتسكن في شبرا الخيمة، وقد سلطت عليها زميلي عم صلاح الكومسري؛ لكي يعرف عنها كل المعلومات التي أريدها، وقد كان رجلاً كبيراً ذو لحية بيضاء وشعر اشتعل شيباً، ووجه سمح وصبوح مما يجعل الحديث معه سلساً وسهلاً، فكان يصبح عليها ويسألها عن حالها، ويوماً بعد يوم عرف اسمها ومواعيد عملها، وماذا تعمل؟ كان اسمها نور، وكانت نور بالفعل، ذلك الوجه الملائكي، والابتسامة الساحرة، وكانت ذات شعر شديد السواد، وعينان كأنها ولدت كحلاء من سوادها، ورموش تجرح دون نقطة دماء، وذات شفاه ممثلة في حسن، ولا تضع مساحيق تجميل سوى الكحل بعينيها، ولكن عندما تنظر تجدها في أبي

صور الأنثى، ودائماً ترتدي اللونين الأسود والأحمر، ولا تلبس الميكرو جيب، فقد كان هذا هو الزي السائد في تلك الأيام، بل تعقد شعرها على شكل ذيل حصان تطرحه علي ظهرها، وترتدي قميصاً أحمر وجيبة سوداء واسعة وقصيرة، ولكن لا يظهر من ساقها إلا ما يقارب العشرون سنتيمتراً، وكان يبدو أن هذا زي العمل، فقد اعتدتها على ذلك كل يوم، أذهب في التاسعة إلى المحطة، وإن ذهبت باكراً أتلکع حتى تظهر، وإن تأخرت أظل كالتائه، أنظر بين الناس، وإن كانت سبقتني، كان اليوم يصبح أسوأ أيام حياتي، وأحاول أن أطير لأراها تدخل إلى عملها.

إلى أن رأيته يوماً لا ترتدي زي العمل، بل ترتدي فستاناً أبيض نقشت عليه وروداً حمراء، وتشر شعرها دون قيد على كتفها، وتصعد إلى الأتوبيس، لم أستطع، فقلت لها: هل تقابليني اليوم بعد العمل؟ أنا أعزمك على الغداء.

فقلت: ومتى تنتهي من عملك؟

قلت لها: بعد ثلاث ساعات.

قالت: إذن، سأنتظر معك بالأتوبيس.

وعندما نظرت إليها بانبهار، انكسفت، فقلت لي: كنت أتمنى دائماً أن أصل لنهاية الخط واليوم أجازتي.

وكان هذا تصريحاً منها بالقبول، فهذا اليوم من أسعد لحظات حياتي، لم أشعر بالعمل، فقد كنت طائراً بالأتوبيس، لا أسير على الأرض، وانتهت الوردية رغم سعادتي الطويلة حتى أنني كدت أن أترك الأتوبيس من قلة تحملي للوقت، وبالفعل جلست معها، كانت أجمل من أن تدرك من قريب، وقالت أنها كانت تنتظرني كل يوم، وكانت تلاحظ إعجابي بها، وتبادلني، ولكنها كانت تنتظر مبادرتي، حكمت لي عن حياتها، عائلاتها، وأنها ابنة وحيدة لأسرة من ثلاثة أشقاء، وأخواها صبيان، وهي فقط بنت، وهي الكبيرة، وتعمل كي تجهز نفسها، وأبوها وأمها من عمال مصانع شبرا الخيمة، وهم عائلة كادحة، لا تملك إلا الستر، وكانت تحكي، وكيف أنها حصلت على التعليم حتى إعدادي، لم تستطع إكمال المزيد، ولكن أنا لم أجد ما أحكيه، ولم أجد ما أقوله عن عائلتي، كيف أقول لها أنني تربي ابن تربي، يسكن أحواش الموتى، وسألتني عن أهلي، قلت لها: إنني

أريد أن أسمع منك فقط، ولا أريد الكلام، فقط أنت اليوم،
أحمر وجهها خجلاً.

مرت الأيام، وأنا أنتظرها كل يوم، فنلقي على بعضنا مئات
الكلمات بالعيون، وفقط بضع كلمات باللسان.

ويوم الأجازة نقضيه سوياً طوال اليوم، نتحدث ونمشي
ونأكل ونتكلم فقط في الحب حتى باغتتني بسؤال: أين تسكن؟

لم أستطع الصمت، ولم أستطع الكذب أمام عينيها، ولم
أستطع البوح أيضاً، فتركناها وهربت مبتعداً، لا أعلم ما بي،
فأنا أخاف فقدانها أكثر من أي شيء.

ومضت أيام، وكلما التقت أعيننا أرى في عينيها العتاب
واللوم، فأنزل عيني بالأرض، ولا أستطيع الحديث، ولكن عم
صلاح قال لي: مينفعش يا ابني، لازم تصارحها لتفتكر بتلعب
بيها.

وجاء يوم الأجازة، وجاءت على الموعد، وجلست أمامها
مطأطئ الرأس، أحكي لها كل شيء عني، أين أسكن؟

وماذا أعمل بعد الظهر؟ ومهنة عائلتي، إرثي الذي لا
أستطيع الفرار منه.

قالت لي: تربي؟؟؟

نعم.....

وصمتت، لم أسمع شيئاً، رفعت رأسي لأراها اختفت من
أمامي، واختفت من حياتي كلها، لم أرها بعدها أبداً، انتظرتها
أمام البيت حتى أنني ذهبت إلى عملها، ولكني لم أجدها،
تركنت كل شيء، وكان جرحي عميقاً، ذهبت إلى أمي، وقلت لها:
سوف أتزوج، ابحثي لي وأبلغيني بموعد الزفاف، فاختارت لي
أمك، كانت ابنة تربي أيضاً مثلنا، تعرف عن حياتنا كل شيء،
ويعيشون مثلما نعيش، ولكنها متعلمة، فقد سمح لها أبوها أن
تأخذ الإعدادية عشان تفك الخط، فأبوها تربي حكومي، بمعنى
أنه يعمل في مقابر الحكومة لدفن موتى الحوادث مجهولي
الهوية، وموتى أحكام الإعدام وضحايا عمليات القتل، والموتى
في مستشفيات الحكومة من الفقراء، ومقابل ذلك يعطونه راتباً
شهرياً وهو ما يميزه عن بقيتنا، وبالفعل أيام وتم الانتقال إلى

حوشي في شهر واحد فقط، لا أستطيع أن أدعوه زفافاً، فقد
أصرت أمي أن نقيم في الحوش عندنا؛ عشان تفرح أبويا زي
ما قالت.

وانجبتك في تسعة أشهر، ولو كان الأمر بيدي؛ لاخترت
عقيماً، لا تتجب أومنعتها من الإنجاب، ولكني لم أستطع فعل
ذلك، ولكني منعتها من إنجاب المزيد.



(تجارة الأعضاء)

بعد زواجي من أمك بعدة سنوات، مات جدك، وكانت أمك
الكبرى، فسعت إلى معاشه، وأرشدتها بعض الموظفين أنها من
الممكن أن تأخذ وظيفته لو كان لها أخ كبير، ولكن كانت هي
الكبيرة فأقنعتهم بكل الطرق أن تحل محله، وتأخذ وظيفته حتى
لا يتم طردهم من الغرفتين التي تسكنها أمها وأخواتها، فهذا
سكن حكومي سلمته لهم الوزارة لكي يكون قريباً من عمله؛
ليتوافر أي وقت ويحرص المكان أيضاً، فقد كان تريباً وغبيراً
في نفس الوقت بعدة قروش، لم أكن حتى استوعب كيف كانوا
يعيشون بها؟ وتظهر عليهم ملامح الثراء وبهذه القروش فكيف
ذلك؟

وبالذات أن أغلب الموتى يكونون بلا أهل أوفقراء فلا يأتي
أحد لهم ولا يقرأ عليهم حتى لضمان الرزق من طرق أخرى،
فبعد الكثير والكثير من المعاملات تم صرف المعاش لهم،
وتعيينها مكانه، وكانت أول سيدة تعمل رسمياً بمهنة التربي،
فجميع النساء هنا تعمل مع أزواجهن وتساعدنهم سواء بالتفصيل
أو دفن السيدات أو التعديد، ولكن مع انتهاء مهنة المعدة أصبحت
يعملن مع أزواجهن بالدفن، ولكن لم تقتصر المميزات على
المرتب والوظيفة الميري بس، ولكن اكتشفت أنني وقعت على كنز

من المال، بس المهم إزاي أستغله، من أول يوم جالها الموظفين بتوع الكليات عشان يشتروا الجثث للطلبة بكليات الطب، فهؤلاء الموتى ليس لهم أهل للسؤال عنهم، وأيضاً يتم إرسال أعضاء فقط للدفن من المستشفيات، فبعد بترها يتم إرسالها للدفن، وأنا أبيعها بالقطعة، وسألت، وعرفت التسعيرة وأن الإنسان كاملاً أرخص من القطع، وأنه كلما كانت الجثة حديثة كلما كانت أغلى، وساعتها عرفت حمايا، كان جايب الفلوس منين؟ ولكن حين يمر يوم واحد، لا أستطيع بيعها إلا بعد أن تتحلل، فأبيعها هيكلًا عظميًا، ولكن نصحني أحد العاملين بالمشرحة أنه سيحضر لي برميل فورمالين وهي مادة تحفظ الجثث من التلف سريعاً، ويستخدمونها بالمشارح بكلية الطب للحفاظ على جثث الدراسة، وذلك مقابل ألف جنيه يأخذه، وساعتها هقدر أحفظ الجثث لحد ما يجي زيونها، وأبيعها أغلى وفعلاً جفته وكنت ببيع أي حاجة وكل حاجة بس دي ليها مواسم بداية السنة بس، وموسم الامتحانات، وباقي السنة سوقها واقف مع إن قرشها حلو فأعطتها دخل ثاني وزيادة الخير، محدش يكره الرزق.



(سيدي المتغرب)

في يوم، فتحت أنا وأمك العين عشان نفضيها، ونعمل
عضامة، هي عند الستات وأنا عند الرجالة.

لقيت جثة زي ما هي متحللتش خالص، كانت ناشفة كأنها
حجر، وساعتها إيدي اترعشت، وجه في بالي ألف حاجة، أنا
بقالي عشر سنين بدفن، وشفت كل الجثث بتحلل، حتى الناس
المشايع والشهداء بتوع الحرب، كله بيتحلل، طلعت جري كأني
لدغني عقرب، اترعبت، وطلعت أمك ورايا جري، قالت لي: إيه
اللي حصل؟!

قلت لها: الراجل سليم.

نزلت معايا تاني بنتسند على بعض، ودخلنا لقيناه أنا
وهي، خافت وطلعنا جري، وسيبنا التربة مفتوحة كام يوم،
وقلت الهواء لما يدخل هيبدا يتحلل، ولكن محصلش.

راحت أمك لأمها وسألته مين ده؟

قالت لها: ده كان جاي متخشب كده يابنتي، ده راجل لقيوه
مقتول في الصحراء، ومدفون في جبل الفوسفات، لما جم يفجروا

الجبل لقيوه وبعثوه لأبوك ودفنه، ومن يومها محدش فتح عليه
بقاله يجي تسع سنين عشان أبوكي من يوم ما تم دفنه، وهو
كل ما يمر يسمع صوت جنب القبر، كأنه حد بيتعذب، عشان
كده خاف منها ومفتحهاش ثاني.

أمك قالت لي: نفضلها ومنفتحهاش ثاني.

قلت لها: بصي، أنت تتشري في الدنيا كلها اللي حصل،
وإن الراجل ده متحللش، وإنه باين من أهل الطريقة، وأنا هروح
أقفل عليه وأدهن القبر بالأخضر، ويبقى مقام وكل اللي يجي
ياخد البركة منه.

بس احنا منعرفش ده كان إيه؟

صالح ولا فاسد، نقوم نعمله ولي مرة واحدة.

هو أنت فاكدة إن كل الأولياء دول أولياء بجد، شغلي دماغك
دي شوية، ده رزق وجايلنا، نقوله لا.

أيوة، نقوله لا، دي لعنة، مش رزق.

أنت بتعارضيني كمان.

وكان قلم واحد نزل على وشها، كفيل إنه يقنعها تعمل اللي
أنا عاوزة.

وفعلاً سنة ورا سنة بقى مقام كبير لسيدي المتغرب، وأمك
سابت أغلب الدفن لي، وبقت بتغسل الستات وتدفنهم بس،
وتسجل في دفاتر الحكومة لما نحتاجها، وبعد ده تقعد في المقام
تسترزق من سيدي المتغرب.



(صفیۃ)

في يوم كنت قاعد على الكتبة قدام الحوش، وجت عربية
اسعاف فيها ضيفة جديدة، وكنا قرب المغرب، يعني على ما
لدهن هنبقى بليل، المهم قمت وشفت الورق مكنش معاها كثير،
كلهم حريم ماعدا اتين رجالة والسواق، بس المهم قالولي
هندفننها في لحد مع أمها، ومعترضتش بس مادام الموضوع
حفر وكده، إتأولت معاهم على مبلغ أكبر عشان أجيب حد
يساعدني، وفعلاً محدش منهم اعترض، لم يكونوا حزاناً جداً،
ولكنهم بدوا كأنهم بمهمة يغلب عليها التأثر والبكاء بس، وفعلاً
حفرنا ورشينا ميه، وجينا ننزلها بدماغها، لقيت حية كبيرة،
معرفش جت منين؟ موجودة في اللحد، طلعت جري ويستعيد
بالله من الشيطان الرجيم، وكل اللي حواليا جروا بعيداً، وقعد
الشيخ يقرأ قرآن، وكل الناس في حالة ذهول لحد ما اختفت زي
ما حصلت، قلبي اتقبض من الميتة دي وراجعت ورقها ثاني، هي
في الأربعين من عمرها، سبب الوفاة سكتة قلبية، والجمعية اللي
جايبها مضمونة، نزلت ثاني اللحد عشان أدفنها، وأنا عمال
أتلقت حواليا وفعلاً نزلتها بسرعة، وفكيت الأريطة، وطلعت
وقبل ما أنزل عليها التراب، لقيت الحية ظهرت ثاني، رجع
الشيخ يقرأ ثاني، والكل يصرخ ويستعيد بالله من الشيطان،

ولكن هذه المرة التفت الحية حول الجثة رافضة المغادرة، وقد قارب الفجر على البزوغ طوال الليل، كنا نحاول بلا فائدة، وجاء شيخ المسجد، وحكىنا له.

فقال: أنزلوا عليها التراب، هي مخلوق يتحرك بأمر الله، لو كان شيطاناً لاحترق، وبالفعل أنزلنا عليها التراب وردمنا عليها، وأنا قلبي يرتجف من هول المشهد، فقد حاوطت الأفعى الجثة كاملة.

جلس الجميع بالحوش، فقد كانت ليلة طويلة، ولم أرد أن يغادروا قبل أن أعرف لماذا حدث ذلك؟

وأنا لم أرَ أو أسمع طوال حياتي عن شيء مماثل، فانهارت أحد السيدات وجلست تغفر رأسها بالتراب، وتدعو الله وتتشاهد، كأنها تعرف الله لأول مرة.

وقالت لي: لقد كانت تعمل بتجارة المتعة للأطفال.

أي أنها كانت تأتي بالطفلة دون الخامسة عشر، وأحياناً عشر سنين لراغبي المتعة الحرام مقابل المال، حتى أن بعضهن

كانوا يموتون أثناء المعاشرة فتلقي بهم في القمامة، وتأتي بغيرهم من الملاجئ ومن الشوارع، ونحن كنا نعمل معها ولكني لبثتُ إلى الله، ولن أفعل ذلك ثانية.

اشمأزت منها، وتمنيت أن أحرقها في قبرها، بس اللي أنا شفته، منعني أقرب لهنالك تاني.



(مذبحة الآثار)

لم يكن هذا اليوم كبقية الأيام أبداً، فقد صحت في الفجر،
وأنا مقبوض القلب، وأشعر أن هناك شر قادم، وأن هذا اليوم لا
يُشعر بخير أبداً، كنا بالشتاء، ورغم طول ليله وسكونه وسواده
الغامق، بس أنا كنت بحبه غير كل سكان المقابر، بحس إن ليله
ستار زي ما بيقلوا، وأنا محتاج الستردّه أوي.

طلعت بره الحوش الفجر، استتيت الأتوبيس عشان أستلم
ورديتي الساعة ستة زي كل يوم، وكان السما لونها رمادي،
وشكلها هتمطر كثير، دخلت أجيب الجاكت، وطلعت لقيت
قدامي بني آدم، أم بس شبه إبليس، وشه ميندرش بخير أبداً،
فقلت أعوذ بالله، أنت مين يا عم؟

وايه اللي موقفك هنا كده؟

قالني: أنت عم عادل التربي؟

قلت له: أيوه يا سيدي عاوز إيه؟

أنا من طرف حسونة التمرجي.

أهلاً، خير إن شاء الله، ولو إني مش حاسس إنه خير أبداً.

ليه بتقول كده، ده حتى حسونة قالى إنك بشوش وبتحب
المصلحة يعني؟

ما هو عشان أنت من طرف حسونة ده، أنا مش حاسس
إنك جايب خير، بس وماله نسمع.

هدي خلقك بس واسمعي.

يا عم، أنا هادي، عاوز إيه بقى؟

أنا عاوزين ندفن سبع حتت، وزى ما بيدفع حسونة وأكثر
كمان.

سبعة، يخرّب بيتكم، ليه شغالين في مسلخ؟

يا عم، أنا ملناش في شغل حسونة وبيع الأعضاء
والحاجات دي، أنا ناس تجار، ودي حادثة وقضاء وقدر، ولازم
الموضوع يتلم.

أما هي حادثة مدفنتوهمش رسمي ليه؟

يا عم عادل، دول عيال غلابة من الصعيد الجواني أوي،
لا نعرف لهم أصل من فصل، كانوا بيعملوا لنا مصلحة كده،
وانهدت الأرضية عليهم وماتوا تحتها، ولازم نطلعهم ندفنهم.

أرضية إيه؟

المقبرة.

مقبرة إيه يا عم، أنت تريي؟

لا يا عم عادل، أنا شيخ، وكنا بنحضر تحت بيت واحد
معرفة كده، تحت بيته آثار، أنا جاي معاك صريح عشان
متخافش مني، والأرضية بتاعة البيت وقعت على العيال، وزى
ما قلت لك ماتوا.

طب أما هما اندفنوا تحتها، ما تسيبوهم، عاوز تدفنهم
هنا ليه؟

لأننا لازم نكمل حفر، دي مقبرة ملك كبير، ولو انفتحت،
فيها كنوز كثير، هنقفلها عليهم برضه؟

طيب إيه المطلوب مني دلوقتي؟

تدفنهم.

حسونة عارف شروطي.

كلها مجابة إلا شرط واحد، نقلهم من هناك.

ليه بقي؟

عشان حسونة عنده عربية إسعاف بتاعة المستشفى
بيجيبيهم فيها، إنما أنا أجيبهم إزاي؟ وبعدين دول سبعة صعب
نقلهم مرة واحدة.

ما تخلي حسونة ينقلهم لك بالإسعاف.

دي مصلحة بعيد عن الدكتور، وبعدين لو جبتهم على كذا
مرة، دخول الإسعاف كثير، واعدوا على الكمين اللي أول الطريق
هيشككهم فيهم، ولو مرة واحدة ولا قدر الله اتفتش كارثة، لو
جثة واحدة ماشي إنما سبعة صعب.

طيب أنا هجيبيهم إزاي بقي إن شاء الله؟

أنت برضه أكيد ليك حبايبك ومش هتغلب، واحنا هندفع،
وكله هيمشي زي الفل.

طيب أشوف وأقولك اسم الكريم إيه؟

مفتاح الشيخ مفتاح.

ده اسمك؟

لا، ده لقبي، أصل مفيش مقبرة معرفش أفتحها ولا تعصلج
معايا.

حصلنا الشرف يا شيخ مفتاح.

ده شرف ليه يا عم عادل.

خلاص استتاني هنا نص ساعة، أعتذر عن الوردية،
وأشوف حل.

مستتيك.

يا أم أيمن، اعملي للضيف شاي على ما آجي.

قالت لي: حاضر يا خويا.

ورحت يومها، وخليت زميلي ياخذ ورديتي، وجبت عربية الجمعية الشرعية، واتفقت مع السواق يومها هديله ألف جنيه على الجثة، كان خايف، بس أول ما سمع كلمة الألف جنيه على الجثة، يعني سبع آلاف جنيه في ساعتين، الخوف راح، متفتكرش يا ابني إن الطمع بيعمي عن شبع، في حالتنا لا، احنا بيعميننا الطمع عشان غلابة، كل طمعنا إنتا نعيش، يعني السواق ده خد الفلوس عشان يقدر يعيش ويوسع شوية على عياله، مش عشان يفضل العمارة بتاعته، عشان كده بنخاطر، ورحت لمفتاح ده في الحوش عندي، وخذته ورحنا كلنا على الجيزة، بيت بالطوب الأبيض على وش الأرض وسط أرض مزروعة، لما تشوفه تقول ده بيت من آلاف البيوت اللي مالية منطقة الهرم ونزلة السمان، دخلنا لقينا راجل كبير قاعد على الأرض جنبه بوتجاز صغير غاز وعدة شاي، كوبيات على صينية وبرطمانات صغيرة، مفتاح قاللي: استنانا جنب الحج عشان نشوف الطريق ونأمن، ليكون حد شافنا.

قعدنا جنب الراجل، وبدأ يعملنا الشاي، وباخده منه قاللي:
أنت التربي صح؟

قلت له: أيوه يا حاج، أنا.

اسمك إيه؟

اسمي عادل.

طيب بص يا عادل يا ابني، عاوز منك طلب.

أؤمرني يا حاج.

الأمر لله، أمسك دول وعدهم كام.

طلع فلوس عشرات وعشرينات من جيبه كثير.

قلت له: حاضر.

عديتهم، لقيتهم ألفين جنيه، قلت له.

قاللي: عاوزك تشتري بيهم ثمانية أكفان.

ليه يا حاج، ده مفتاح قالي سبعة بس اللي وقع عليهم
السقف.

عارف يا ابني، الكفن التامن لي أنا.

بعد الشر عنك يا حاج.

ده مش شر يا ابني، ده حق، وأنا هاجي جنب اللي تحت،
إيه دول يا بني أكبرهم قد أصغر أحفادي، متعرفش يا عادل
يا ابني، أنا قلبي مولع نار إزاي عليهم، منه لله مفتاح هو اللي
غوى بنتي وأقنعها بسكة الآثار دي، طول عمري عايش هنا
بشوف الأهرامات كل يوم الصبح والظهر، وأنا بشتغل في أرضي
وعمري ما فكرت إن تحت بيتي آثار ولا حاجة لحد ما بدأوا
الجيران كلهم، كل واحد يحفر تحت بيته وساب أرضه وزراعته
وباع اللي حيلته وأداه للمشايخ ده، حتى المواشي اللي بيعيشوا
منها باعوها عشان هيلاقوا ذهب وتمائيل، ورثهم من جدودهم
الفراعنة وهيقوا أغنياء وبينوا قصور، ويركبوا عربيات، ويطيروا
في السما، ويسيبوا الأرض والفلاحة والشقا زي اللي لقيوا قبلهم،
ده في ناس اتجننت، واللي ماتت من الحسرة، ضيعوا كل حاجة،

لا منهم حافظوا على القليل اللي معاهم، ولا منهم لقيوا الكثير
اللي بيعلموا بيه، وجه مفتاح وأقنع نجاة بنتي، أنا كنت رافض،
بس ولا كاني موجود، وجاب الشباب دول وخلاهم حضروا هنا،
أنا مكنتش موافق بس مش قادر أقول لا، خلاص جسمي ضعف
والمرض هدني، وبنتي خرجت عن طوعي، ياريتني كنت قادر،
كنت حوشت عنهم، العيال دول دخلوا قلبي، وكانوا يقعدوا جنبي
طول الليل ناكل ونشرب ونهزر ويشلونني، بقالهم معايا عشر
أيام بس كأنهم عمر، عيال غلابة جدعان راحوا في ثانية، هقعد
أنا أعمل إيه بس، بأمنك أمانة تجيب ليهم أحسن كفن، وحنة،
ومسك، دول عرسان رايعين الجنة، زينهم أحسن زينة.

كلام الراجل وإحساس الحسرة اللي جواه، قطع قلبي،
وقلت له: خد فلوسك يا حاج، وأنا هعمل الواجب.

قالي: والله ما تحصل أبدًا، وبعدين أنا هسترهم، يمكن
رينا يسترني، وأنا هسيب الفلوس لمن؟ محدش يستاهلها زيه.

خليهم ليك يا حاج، يمكن تحتاج علاج ولا حاجة.

يا ابني، أنا هروح معاهم، مفيش علاج هياخرنني.

أنا عشت عمري كله هنا، وعاوز أتدفن هنا على راس الأرض، أنا قلت لنجاة، ونفسي تعمل بالوصية عشان مفارقش أرضي.

شريت الشاي، وأنا مش عارف أقوله إيه؟ داريت نفسي ورا دخان الشاي منه.

وشوية، ودخلت بنته، وماسكها مفتاح في إيده، وأثر العياط باين على وشها، ولكن عينيها بتقول إن عياطها خوف على نفسها، مش حزن على الموتى.

قالت لي علطول: هتاخذ قد إيه وقت في تطليهم، لازم نطلعهم النهارده.

قلت لها: خدي نفسك، وقدمي المشيئة.

بصت لي، وكان كلامي مش عاجبها، ونقلت نظري لأبوها وتجاهلت وجودها.

مفتاح خاف لأعند معاهم، قام قايلي معلش يا عم عادل، أصلها خايضة، والوضع كله غريب عليها، مهما كان برضه دي ست مش زينا، قلبها ضعيف.

قلت له: مفيش حاجة، يلا عشان نشوف حالنا واللي ورانا بشي قبل الليل ما يدخل علينا.

قالني: تعالى ورايا.

فتح باباً صغيراً، ودخل وأنا والسواق وراه، رفع لوح خشب في الأرض، وكانت الأرضية كلها مهدمة والتراب مالي المكان.

قلت له: واحنا هنتزل إزاي؟ كده مش أمان.

قالني: لا، أطمئن، أنا اللي هنزل أرفعلك الجثة، وأنتوا تسحبوا من فوق، أنا دارس الحضرة تحت وهعرف أدوس فين.

ونزل مفتاح، وبدأ يرفع واحد ورا الثاني، وفعلأ كانوا عرسان، أكبر شاب فيهم ما يجيش ١٨ سنة، وأنا والسواق نسحبهم لحد ما طلعتاهم السبعة على أرضية البيت فوق بعض، وسمعنا صرخة شديدة وبعدها صوت مكتوم، جري مفتاح على بره والرعب والخوف أتملك مننا، كانت الست نجاة دي بتصرخ، واحنا قولنا الحكومة جت، وعدت الدقايق كأنها سنين واحنا واقفين ورا الباب أدام الشباب، ومفتاح خرج يشوف فيه إيه؟

وعمالين نلتفت حوالينا عشان نلاقي مكان نهرب منه،
لقيت مفتاح جاي، وماسك الست حاضنها جامد وقافل بوقها
في صدره، ويقول مفيش حاجة يا جماعة، ده الحاج تعيشوا
أنتم.

اتفلسنا بعد ما كان عرقنا بل الهدوم واحنا في عز الشتاء،
وخذت نفسي وقلت: سبحان الله، كان عارف.

السواق جاب العربية أدام الباب، وحملنا السبع جثث، وقلت
لها: أنا هاخذ الحاج معايا الجمعية الشرعية أغسله وأكفنه
وأجيبه ثاني.

مفتاح قال: ليه؟ ما تسييه؟ وبعدين نشوف هنعمل إيه
معاه؟ الدنيا برد ومش هيحصل حاجة لو سيبناه لبكرة.

قلت له: لا، هو وصاني قبل ما يموت، وأنا هعمل بالوصية.

مفتاح قال: وماله، حتى يبقى وجود عربية الجمعية مبرر.

بصت له وأنا قرهقان منه، وقلت له: يلا.

خذتهم وخذت الفلوس اللي اتفقنا عليها، ومشيت رحت
على الحوش الأول، نزلت الشباب وغسلتهم وكفنتهم ودفنتهم،
وكان السواق خد أبو نجاة وراح الجمعية وطلع له تصاريح
الدفن وغسلوه، ورحت أطمنت عليه، وجت بنته ومفتاح استلموه
وخدوه في العربية، ومشيووا وبالحادثة دي زودت ذنب من ذنوبي،
والقلت دفتر اعترافاتي باعتراف جديد.



(السحر)

الكثير من الناس يملكون نفوساً ضعيفة، ولا أنكر أنني
منهم، أنا لم أسع لأذية أحد، ولكن هناك من يسعون لذلك، ولا
يفكرون سوى به، جاء إلي يوماً ما رجلاً يركب سيارة فخمة،
كنت أعتقد أنه أحد أقارب الموتى من البشوات بتووع زمان،
فالمناطق تعج بمقابرهم، ولكن نزل من سيارته وجلس بجواري
دون دعوة مني، وقال مباشرة: أنا عاوزك في موضوع مهم وفيه
مصلحة.

قلت له: خير يا باشا.

قال: خير.

قلت له: ومحددش يكره الخير.

قال: اتفقنا أنا أهل أبويا عاملين لي سحر عشان أموت.

قلت له: أعوذ بالله.

مين قالك؟

قال: راجل طيب، بس عشان أفك السحر ده لازم أدفن

حاجة صغيرة كده في الترب، وانت سيد العارفين والوحيد اللي
يقدر يخدمني.

قلت له: هتدفع كام؟

قالي: مش هنختلف اللي هتطلبه.

وفعلأ خدت منه العمل، ونزلت دهننته، وطلعت قبضت
الفلوس، لما تسألني تقولي: مخوفتش تضر حد؟

هقولك: وأنا مالي اللي أراه يستحمل نتيجة أراه، وبعدين
أنا مكنتش بصدق بأي حاجة من دي، لحد ما يوم جاتلي ست
كبيرة، وقالت لي: بنتها ملبوسة من جني، والمشايخ قالوا إن
العمل مدفون في الترب ولازم نطلعه.

طب قالك مدفون فين؟

لا، مقدرش يحدد.

طب وإيه الحل؟

لازم نخط ورقة في الترب برضه.

هتدفعنيها يعني؟

لا، هحطها في فم ميت.

إزاي يا ست أنت؟

أنت اتجننتي؟

اسمع بس.

مستحيل أحط حاجة، أنت مبتخافيش ربنا؟

بخافه، بس بنتي حالها يصعب على الكافر، مشلولة وبتموت
أدامي.

بص يا عم عادل، أنا هديك اللي أنت عاوزه.

إنسي يا ستي.

طب افتحلي التربة وأنا أحط الورقة أنا.

لا يا ستي.

هديك ألفين جنيه في دقيقة، افتح الباب وسيبني.

خلاص ماشي، أنت اللي هتشيلى الذنب، أنا مالي.

ربنا بيسامح، بنتي بتموت.

طب يا ستي هتنزلي إمتى؟

بكره هاجي أنا والشيخ وبنتي وهنزل، وهما هيفضلوا بره.

ماشي.

تاني يوم جاتلي ومعاها بنتها، أول ما شوفتها صعبت عليّ،
وشها أصفر كأن فارقه الدم والحياة، ومش بتتحرك نهائي إلا
رمش عينيها، وباين عليهم الخوف، ورابطين إيديها ورجليها في
الكرسي، وفمها بإيشارب،

لما سألتهم رابطينها ليه؟

قالولي: الجن حس باللي بنعمله، وطول الطريق كان بيعذبها

وبتصرخ وتتشنج، عاوزه تنزل من العربية فالشيخ كتفها لا تؤذي
نفسها.

وفعلاً، فتحت للست التربة، ونورت لها السلم بالكلوب،
لحد ما بدأت تنزل، ولفت وبصت لبنتها، وكل حب الدنيا في
عينيها، وزى ما تكون بتطمئنها إن هانت.

ونزلت وفتحت فم الميت، وحطت الورقة وطلعت بسرعة،
وكان باقي ليها سلمتين، حسينا إن زي ما تكون صابتها رصاصة
في ظهرها ووقعت جوة، نزلنا جري أنا والشيخ نجيبها، لقينها
مشنجة زي ما تكون اتشلت، الغريبة إن البنت خفت، واتحركت،
وأول ما طلعتنا كان على وش الأم نظرة رضا غريبة، والبنت
بتصرخ.

فكها الشيخ، قامت جري، واتبدل الحال، وبقت الأم هي
اللي مشلولة، والبنت خفت.

شيلناها على الحوش عندي، قعد الشيخ يقرأ، ويطبطب
عليها، وبنتها تقولها ليه كده؟

أنتِ عملتي كده ليه؟

وأنا مش فاهم حاجة.

سألت الشيخ.

قالى: الناس دي عندهم بيت صغير، كان طمعان فيه ناس مؤذيين أوي، دول وافقوا يبيعوا، بس التانيين عرضوا تراب الفلوس، فرفضوا، قامت الست عاملة عمل للبنت عند شيخ نجس، عملوا بالنجاسة ودفنوه بالترب، وبالفعل من يومها البنت لبسها جن شديد، بيشد منها الحياة، والست احتارت، ولما جت لى، كان الحل الوحيد، أفك السحر بنفس الطريقة، بس أنا قلت للست إنه ممكن يلبسها هي، لو هي اللي حطت العمل في فم الميت، ولازم راجل يحطه غيري عشان أكون موجود للحماية، لما أنت رفضت وهما ملهمش حد، وافقت تحطه هي عشان خاطر بنتها.

لو كانت قالت لى، كنت.....

قاطعني قالى: مكنتش هترضى.

صح.

طب إيه الحل دلوقتي، هنسيبها كده.

ليها ربنا، الشفا من عنده.

بصيت للست، لقيت لونها أصفر، وكأنها بتفارق الحياة، بس على وشها ابتسامة.

وبنتها بتعيط.

وفضل الحال كده لحد ما مشيوا ومشفتهمش تاني.

وكان بييجيلي ستات كتير أوي، اللي عاوزه تدفن عمل، واللي عاوزه تخطي على ميت عشان تفك سحر معمولها، وكنت بقبل أوبرفض على حسب اللي هتدفعه الواحدة فيهم، وساعات كانت بتيجي الست من دول ومعها الست بتاعة الزار، ويدبحوا الفراخ والخرفان، وبعد ما يغرقوها نفتح باب الترية، وننزلها فيها لحد ما يغمى عليها، ويفوقوها، وكل ده كان أغلبه أوهام بتحطها كودية الزار في دماغ الست من دول عشان تاخذ منها قرشين لو معاها ومبسوطة، ولو فقيرة تبقى الطلبات أقل،

وتحضر في الصخر عشان تجيبها، وكل دي كانت أوهام، وكمان
كان فيه شيخ يجيب الست من دول لما تروحله وتقوله بشوف
أموات ولا مخنوقة، وتدخل دماغه، يقوم يجرها على الترب هنا
بحجة إن ليها عمل مدفون، وينام معاها في الترب عشان يفكه.

الأول كنت بخاف أوي من الحاجات دي، ولكن لما التريئة
قالولي ده عادي، وكلنا بنعمل كده، أومال هنعيش منين؟

اللي ليه ميت بينسأه بعد كام شهر، هنعمل إيه؟

هناكلهم، أدينا بنبيع اللي نقدر عليه، والباقي وينستغل
المكان، وده أحسن مكان بعيد عن الحكومة؛ لأن الكل بيخاف
من الترب، حتى لو هجموا بيبقوا مكشوفين، والستات تصوت
وتقول داسوا على الميتين، وساعتها بيخافوا ويتوهوا في وسط
الترب، واحنا بنبقى عارفين مسالكها، فمحدث بيقدر يمسك
علينا حاجة، وبعدين اللي هيتحاسب هما، احنا مالنا يعني
هيجرالنا إيه؟

أدينا عايشين وسط الميتين أحياء وأموات.

ومن ساعتها بقيت أؤجر الأحواش البعيدة للي عاوز ساعة،
الذين، المهم هيدفع كام، بس عمري ما جبت حد عند أمك، ولا
عندك عشان منزلش من نظركم، وأفضل طول عمري بهييتي،
أمك كانت عارفة بيع الجثث، بس متقدرش تتكلم، ما أبوها كان
بيبيع، والمقام برضه كانت عارفة بيه، إنما غير كده مكانتش
أعرف حاجة تانية.

وفي يوم نزلت واحدة من بتوع الزار متفرقة دم للتربة عشان
العمل المدفون يتفك، بس يومها حصلت مصيبة كبيرة، الست
كانت حلوة أوي، وأنت عارف الترب مسكونة بالعفاريت، ومنهم
ملوك للجن، محدش يقدر عليهم، ولا ينفع الهزار معاها، ولا
نصب كودية الزار، الست نزلت من هنا، وقعدت تصرخ وتقول:
نار نار.

فتحت التربة، لقيت النار محوطاها من كل جنب كأنها
جهنم، بس هي واقفة في النص، ولا اتلست، شديناها بسرعة
وجينا نقفل الترب معرفناش من كتر النار، سيبنهاا وهربنا
كلنا، وكان زي ما قلت لك في حوش بعيد عننا، وقلنا نهرب،
بس الست اترمت مننا جنب التربة، وزى ما تكون اتسمرت في

الأرض، وتقلت كأنها ألف طن، محدش قدر يحركها، ولما بصيت في وشها، لقيت عليه خيال ثاني لمخلوق ثاني بيبظهر مكان وشها، عرفت علطول اللي حصل، الست اتلبست بدل ما كانت جاية تفك عمل لبسها جني شديد، وهربت كودية الزار واللي معاها، وسابولي المصيبة دي، رحت جري للشيخ حسان بتاع الجامع، وجه معايا وقالني: مش هتبطلوا بقى أفعالكم دي، حرام عليكم اذيتوا الموتى والأحياء، ذنبها إيه المسكينة دي دلوقتي، وبعدين النار دي أنا مقدرش أطفئها، وقعد يقرأ لحد ما الست اتحركت.

وركبتها عربية، وقلت له يوصلها أي حطة، المهم ميرجعش بيها هنا ثاني، واديته فلوس كتير عشان كأنه لا شاف ولا سمع.

وقعدت النار والعة في الحوش سبع أيام بلياليهم، وطففت لوحدها بعد ما غلبنا، نطفي بمية وردم ولا في فايدة، حتى المطاي فشلت تطفئها حتى، وجت القنوات سجلت والجرايد، ما هما كده الناس يحبوا يحشروا أنفسهم في كل حاجة، وجابوا مشايخ كبيرة تقرأ وتحضر، ولا في فايدة، والنار زي ما ولعت زي ما طفيت لوحدها، وبعدها بيومين جاتلي كودية الزار.

وسألتها: إيه اللي حصل المرة دي يا وش النحس؟

قالت لي: وأنا أعرف منين؟ أنت عارف إنني لا بعرف أسحر ولا أحضر جن ولا عفريت، ولا أعرف أصرفهم، ده أنا بخاف من خيالي، ما أنت عارف كل حاجة.

أنا بقالي سنين حافظة كلمتين عن أمي وستي، وهما هما اللي بقولهم عشان أخذ من الواحدة من دول قرشين ولا حنتين ذهب أقلب بيهم رزقي لما أوهمهم إن دي طلبات الأسياد، وإنها ملبوسة ولا ممسوسة عشان تدفع وتفك كيسها وخلاص، ده أخري معاها.

ويومها تسيبيني وتجري وتسيبيلي المصيبة دي؟

وأنا كنت هعمل إيه؟ أنا لا أعرف جن، ولا أعرف أحاربهم أصلاً، بص أنا جياالك عشان لازم أختفي شوية عن الأنظار، وجيت أحذرك، أنت لا تعرفني ولا أعرفك.

ليه يا وش النحس، الست جرالها إيه؟

ماتت يا خويا، وأهلها بيدوروا عليها.

يا نهار أسود، ماتت إزاي؟

بيقولوا لقيوها آخر التراب، مش راضية تمشي وعيانية،
والناس بقت تديها أكل وخافين منها عشان دم الطيور اللي كان
عليها، وافتكروها قاتلة حد، وقام واحد مبلغ البوليس، بعدها
بأسبوع جه ياخذها بالقوة، خلصت في أيديهم هناك.

وعرفوها أهلها إزاي؟

كانت حاطة في صدرها البطاقة والفلوس، ووصلوها لأهلها،
أنا أصلاً من اليوم الزفت ده مروحتش، عشان أختها كانت
عارفة إنها معايا، بتعمل زار بس من ورا جوزها عشان كده
هريت، قلت أكيد هتقوله.

وهتروحي فين؟

هختفي في الصعيد، هناك هسترزق برضه.

بس هناك مبيهزروش، لو عملتي عملة ثانية زي دي،
هتروحي فيها، ولا مين هينفعك.

لا يا أخويا ما هو أصلاً هناك مفيش أحواش زي هنا،

الله بيدفن في لحد، يعني مش هعمل زار في التراب، هعمل في
البهوت، وهترزق برضه.

خلاص سافري، أرض الله واسعة، بس مترجميش هنا ثاني،
أنا خلاص حرمت، ربنا بس يعديها على خير.

ومن يومها مكررتش زار في التراب ثاني.

لو حد حب بدفن له العمل ويمشي، وأي حاجة ثانية كنت
باجرلهم أحواش فاضية إلا للمشايخ اللي كنت أعرفهم وأعرف
إنهم أقوياء، ولو حصل حاجة يقدرُوا يتصرفوا، وكنت بشترط
عليهم لو حصل أي حاجة، هقفل التربة عليه، ويتصرف هو مع
الموتى والعفاريات، والناس اللي معاه.



(حودة)

هوذة هو المساعد بتاعي، أنا ربيته من ساعة ما لقيته حتة
لعمدة حمراء، ملفوف في كيس مخدة، ومرمي في الترب بيعيط،
وأنا معدي بالليل، لقيته جنب تربة، وساعتها خدته ورحت بيه
لأمك، وصراحة هي عاملته زي ابنها بالظبط، وبالذات إنه
بالها بعد ما أنت مشيت ورحت عند هناء، وكنا عارفين إنه
أكيد ابن حرام، أمه ولدته ورمته جنب الترب عشان تخلص
منه ومن فضيحتها، أوجايز أبوه رماء، المهم إنه طلع من غير
أهل، ولا عمر حد رجع ولا سأل عليه، ولما جيت أدخله الكتاب
مكتش بيرضى يروح، وكان بيهرب منها، ويرجع الترب يقعد في
أي حوش، كانت ساعات أمك تقولي: أنا حاسة إنه عفريت مش
بني آدم، الواد مش بيخاف من الترب خالص زيه زي العيال.

ولما كبر شو به قلت له: أنت بتشوفهم يا هوذة؟

قال: طول عمري بشوفهم وبكلمهم، وبحس إنهم أحن عليّ
من أهلي اللي رموني، أنا مبخفش منهم يا عم عادل: لأن في
بني آدمين مرعبين أكثر من الميتين.

وعاش معايا زي ظلي أكثر من محمد أخويا وأي حد، كانت

كل أسراري معاه، وزى ما يكون الأصل غالب في كل حاجة، الواد
حوودة كان مجرم بطبعه، قاسي، بيحب الغلط ويفتح صدره،
وصحيح يا ابني اللي معندوش حاجة يخسرها خاف منه، حتى
لما حببت أجوزه، قالى: لا، أنا بحب الحرام.

قلت له: يا واد عيب.

قالى: وإن طلع العيب من أهل العيب، أنا ابن حرام أصلاً.

كنت ساعات بندم إنى صارحته، لقيته إزاي؟ وأقول كنت
قلت له إن أهله ماتوا، ولا أي حاجة، بس أنا مقدرتش أعمله
ورق، ولا نفسي طاوعتني أكتبه باسمي، وزى ما يكون معرفته
بأصله خلاه كاره للناس والدنيا، وبينتقم منها، لكن هو شال
لي الجميل، ولو حببت ممكن تعتبره زى أخوك، هتعرفه أول ما
تشوفه، هتعرفه هو شبه النخلة، طويل ونحيف وعينية مالهاش
قرار، ووشه دايمًا أصفر زى ما يكون مبيشوفش النعمة، وصوته
عالي، بس مخلص لأبعد حد.



(قطع غيار البني آدمين)

في يوم جالي حودة وهو بيتلفت وراه كده زي ما يكون خايف
ان حد يكون وراه، قلت له: في إيه يا واد؟

مالك بيتلفت كده زي ما يكون خايف من حاجة، مين وراك؟

قالي: جايب مصلحة فلوسها حلوة أوي، بس خطرة أوي
برضه.

قول بسرعه هي فزورة؟

حسونة التمرجي اللي بيدي للعيال البيسة بالليل، شغال
بعد الظهر في عيادة دكتور جراح كبير.

واحنا مائنا، إيه المصلحة؟

هقولك.

ما تقول، أنا هتحايل عليك، خلص لأخلص عليك.

يا معلم، اسمع بس، هحكلك من غير ما تتعصب، الدكتور
اللي حسونة شغال معاه، كان ينقل كلية لواحد، حصلت مشكلة

للمتبرع والراجل مات في إيدو وهو بياخد الكلية، قضاء الله،
هنعمل إيه؟

طب وإيه المطلوب مننا يعني؟

نروح ناخذ الراجل نفسله وندفنه.

طيب إيه المشكلة؟ خليفهم يودوه الجمعية، وأنا أروح لهم، هو
الحوش بتاعهم تبعنا يعني؟

يودوه فمين يا عم عادل، الراجل مالوش تصريح دفن ولا
شهادة وفاة.

نعم.

أومال بقولك مصلحة كبيرة ليه، احنا هناخد الراجل من
العيادة، نفسله هنا في الحوش وندفنه، ولا من شاف ولا من
دري.

دي جريمة يا ابن الأبالسة، نروح فيها في داهية.

يا معلم عادل، لا داهية ولا حاجة دول عشرة آلاف جنيه
نظهر نص ساعة، ومحدث هياخد باله، الترب تربنا والحوش
بتاعنا، وكلها كام يوم وياخد دوره، يا ياخده تلميذ من زباين
كلية الطب، يا نسيبه ينشف ويروح لمعمل الكيف، يعني العملية
كلها منافع.

طيب أما هو مات مودة ربنا، أهله مش هياخدوه ليه؟

أطمئن، مالوش أهل، ولا حد هيسأل عنه أصلاً، ده عيل
من عيال الشوارع، ومالوش أهل.

أنت اللي بتقول كده يا حودة؟

يا معلم، أنا لو أبويا عرفته هبيعه زي ما أنا اتبعت، المهم
دول عشرة آلاف جنيه، إيه رأيك؟

أنت إبليس، فمين العيادة دي؟

جنبنا، نص ساعة بالعربية.

لا، أنا مش هروح أجيبه، خلي حسونة يجيبه زي ما يجيبه،
وأنا هستلمه على باب الحوش، والفلوس مقدم قبل الميت.

ماشى يا معلم، هروح أقول لحسونة، وأرجعك.

غاب يجي ربع ساعة، وجه يتلفت برضه، وقالى: خلاص كلها نص ساعة والأمانتين هيجوا في عربية إسعاف لحد باب الحوش زي ما قولت.

خلاص أدينا مستتين، وفعلأ فأت يجي نص ساعة ولقيت الإسعاف جت ودخلت لحد الحوش، وسلمني حسونة الفلوس والجثة ومشى مع العربية، وقالى هرجعك بالليل يا عم عادل عشان أطمئن.

قلت له: تظمن على إيه يا واد أنت؟ ما خلاص من دلوقتي خلصت.

وخذنا الجثة، ودخلنا جوه وحطيناها على الترايبزه، وبعث الواد حودة يجيب الكفن، وكان الميت ملفوف في ملايه، وتحتها مشمع كبير بتاع العمليات ده، ولما فتحت الملاية والكيس، لقيت الواد مشقوق نصين، ومفیش في بطنه حاجة إلا مصارينه حتى قلبه مش موجود، ناديت على حودة وقلت له: شوف يا ابن الأبالة، دي كانت عملية نقل كلى، بس ده الواد فاضى من جوة.

قالى: احنا مالنا، هو احنا واخدينه بالوزن، ما هو كده كده مات، وكان هياكلها الدود.

قلت له: أنت شيطان زي ما بتقول عليك خالتك أم أيمن.

خالتي أم أيمن طيبة، متعرفش إن الشيطان بيقولى يا بابا، وقعد يضحك.

غسلنا الواد ودفناه، وبالليل فضلت منتظر حسونة لما جه وقلت له: انتوا عملتوا إيه في الواد ده؟

يا عم عادل، دول مالهومش أهل، ولا ليهم لازمة في الحياة أصلاً، دول قطع غيار بني آدمين.

قلت له: يا سلام.

أومال يا عم عادل لسه العلماء مقدروش يعملوا أعضاء صناعية، يعني نسيب الناس تموت؟

ودول مش ناس يا حسونة، ولا الناس هما اللي معاهم فلوس بس هما اللي ناس؟

يا عم عادل، اللي معاه فلوس وعنده أهل ليه لازمة، إنما
دول عالة على البلد والمجتمع، والموت ليهم راحة، وبعدين احنا
مقصدناش يموت، هو اللي عمره خلص.

أنت هتكذب عليّ يا واد، أنا غسلته ولاقيته فاضي، حتى
قلبه خدتوه هيعيش إزاي؟؟ بالقدرة.

ما كلنا عايشين بالقدرة يا عم عادل، وبعدين احنا لما
لاقيناه مات خلاص خدنا المفيد بدل ما نسيبه للدود، ده يسوى
دهب، الكلية الواحدة بتتباع بخمسين ألف جنيه، وبعدين ده
حتى احنا سيبنا عينيه مخدنهاش.

وأنتوا بتاخدوا العين كمان يا أبالسة؟

كل حاجة وليها سعرها، وبعدين يا عم عادل أنت عمرك
دفنت ميت وخذت عشر آلاف جنيه، ده أنت حتى لو بعث
الجثة ولا عملت بيها كيف، عمرها ما هتجيب السعر ده، وكمّان
سيبنالك الجثة تستفّع بيها زي ما أنت عاوز.

على رأيك، أنا مش أحسن منكم، كلنا قتلى.

بقولك إيه يا عم عادل، الدكتور النهاردة كان مبسوط أوي
إن الموضوع خلص بسهولة، والميت ده كسبه بتاع مائتين ألف
جنيه.

ورمالي عشرة المفترى.

لا، هو قالي لو عندك استعداد، كل مدة كده لما يجمع
الطلبات ويلاقي متبرع يعمل العملية، ولو لا قدر الله مات
العيان تاني، نبعتهولك والمصلحة تعم على الكل.

يعني ياخده يفضيه ويرميلي عشرة آلاف جنيه.

لا، قالي هيديك خمسة وعشرين في الجثة الواحدة، دي
مصلحة حلوة والخير هيعم على الكل، إيه رأيك؟

وماله، ونغير النشاط ونكتب على الحوش عادل صالح
تاجر قطع غيار بني آدمين.

وتعالت ضحكاتنا وسط الدخان الأزرق، وبالفعل تكرر هذا
الأمر عدة مرات حتى قبض على الطبيب وحسونة، ومررت
عليّ عدة أيام قلقان تيجي رجلي في التحقيقات، بس ربنا ستر

والدكتور طلع بمساعدة المحامين بتوعه، بس قرر يسحب البلد
بعد الفضيحة، كل البرامج جابت الحادثة والجرايد كتبت، وأنا
قرئت كل حرف، وسمعت البرامج وعرفت إنه كان يقنع أولاد
الشوارع إنه هيجلل لهم عشان يشغلهم، واللي كان بيلاقيه
مناسب وصحته حلوة كان بيخدره ويعمله العملية، بس بعد
ما يجمع عليه مشاركات؛ لأن لازم يبقى فصيلة الدم مناسبة،
وبيعملوا مائة تحليل عشان يشوفوا الجسم هيقبل العضو ولا
لا، وساعات كان بيحفظ بيهم مدة، ويهتم بيهم فيتامينات وأكل
وشرب زي اللي بيضمن دبيعة عشان يدبجها، ولما يكمل العدد
يدبج ويوزع، اللي عاوز قلب ياخذ، واللي عاوز كلى ياخذ، واللي
عاوز قرنية، والكبير بقى الكبد بيتباع بالفض، يعني ممكن
بيبعه لكام واحد، والعضو الواحد أقل سعر ليه خمسين ألف
جنيه، وساعات كان بيبيعهم لبلاد بره، يسفر العيل من دول أي
بلد، وهما يشوفوه هنالك، ياخدوا أعضاء ويرموه في البحر، ولا
يحرقوه، ما هو خلاص معدش ليه لازمة عندهم، وطبعاً بنفوزه
طلع زي الشعرة من العجينة من غير حتى ما يتسجن يوم واحد
عشان العيال دي ماليه الشوارع، وملهاش أهل يسألوا عليهم،
ولا حد هيدور، ده حتى دور الأيتام بتبيعهم سواء لناس تربيههم



والدكتور طلع بمساعدة المحامين بتوعه، بس قرر يسحب البلد
بعد الفضيحة، كل البرامج جابت الحادثة والجرايد كتبت، وأنا
قرئت كل حرف، وسمعت البرامج وعرفت إنه كان يقنع أولاد
الشوارع إنه هيجلل لهم عشان يشغلهم، واللي كان بيلاقيه
مناسب وصحته حلوة كان بيخدره ويعمله العملية، بس بعد
ما يجمع عليه مشاركات؛ لأن لازم يبقى فصيلة الدم مناسبة،
وبيعملوا مائة تحليل عشان يشوفوا الجسم هيقبل العضو ولا
لا، وساعات كان بيحفظ بيهم مدة، ويهتم بيهم فيتامينات وأكل
وشرب زي اللي بيضمن دبيعة عشان يدبجها، ولما يكمل العدد
يدبج ويوزع، اللي عاوز قلب ياخذ، واللي عاوز كلى ياخذ، واللي
عاوز قرنية، والكبير بقى الكبد بيتباع بالفض، يعني ممكن
بيبعه لكام واحد، والعضو الواحد أقل سعر ليه خمسين ألف
جنيه، وساعات كان بيبيعهم لبلاد بره، يسفر العيل من دول أي
بلد، وهما يشوفوه هنالك، ياخدوا أعضاء ويرموه في البحر، ولا
يحرقوه، ما هو خلاص معدش ليه لازمة عندهم، وطبعاً بنفوزه
طلع زي الشعرة من العجينة من غير حتى ما يتسجن يوم واحد
عشان العيال دي ماليه الشوارع، وملهاش أهل يسألوا عليهم،
ولا حد هيدور، ده حتى دور الأيتام بتبيعهم سواء لناس تربيههم

(شيطان الإنس)

في يوم كنت قاعد في المغسلة، وجه ميت، كان ميت في حادثة
على الطريق، وكنت بشيل هم موتى الحوادث؛ لأن ساعات بتبقى
النهم صعبة أوي، وساعات مينقدرش حتى نلم الجثة في الكفن
من كتر ما هي متقطعة، والأول مكنتش بوافق أبداً، لا أغسلهم
ولا أدفنههم، بس من كتر ما الناس بقت بتموت في الحوادث، لو
رفضت أشتغل معاهم مش هشتغل، وكتر الحزن علم البكاء،
ومبقتش بخاف منهم، بس فضلت وقت كبير أوي أرفض موتى
الحروق، مكنتش بقدر أغسلهم نهائي، إزاي أحط عليهم الميه
وأغسلهم وهما جلداهم دايب من الحروق، بس اليوم ده كان
الميت حادثة عربية عادية، بس الناس جاينين فرحانين وهما
شايلين الميت مش حتى باين عليهم الحزن، ومحدث من أهله
جاي معاه، مفيشش ألا شوية ظباط، بس شكلهم كبار أوي، ودخل
الميت لقيته في حالة مشفتهاش قبل كده، أسياخ الحديد راشقة
في كل جسمه، داخله من رقبته وطالعه من ظهره بشكل بشع،
حتى أنا مقدرتش أبص له، والغريبة إن الأسياخ دي مخلياها
مقرفص، قلت لهم: ده هنفسله إزاي؟ لازم نشيل الحديد.

قالي المساعد: مينفعش، الراجل قرب يتنفخ، ولو خلعنا الحديد
ده هينزف من كل حته، ويمكن يتفجر، هنفسله وندفنه إزاي؟

طلعت للبهوات اللي بره، وقلت لهم على الحالة اللي احنا فيها هنعمل إيه؟

قالي الطابط: اتصرف، دي شغلتك، بس لازم تخلص علطول عشان نلحق ندفن مفيش وقت.

دخلت للمساعد وقلت له: غسله زي ما هو كده.

وفعلاً غسلناه زي ما هو، وكفناه، وطلعت للطابط وقلت له: احنا اضطررنا نفسله ونكفنه بأسياخ الحديد المزروعة فيه دي.

قالي: خلاص مش مهم.

يلا عشان ندفن، وفعلاً روحنا دفناه بالهيئة دي حتى لما قالي حودة نشيل الأسياخ بعد ما نفك الكفن ودلوقتني مش مهم يجراه إيه؟

قلت له: فكرة برضه، يلا ساعدني، وفعلاً حاولنا نشيل الأسياخ بس كانت مزروعة في عضمه، ومقدرناش نطلعها، حاولنا كتير لحد ما تعبنا، والآخر سببناه على حاله، والظباط مشيوا حتى من غير ما ينتظروا نطلع من تحت، ولما طلعت

البنهم سايبين الفلوس بتاعة الدفن والإكرامية مع عسكري كبير في السن بس رتبته صغيرة صول في البوليس.

ولما سألته: مين الراجل ده وفيه أهله؟

باين إن قرابه دول مهمين أوي، أو مال ليه دهنتوه كده؟

قالي: دول مش قرابه، ولا طايقيه أصلأ، دول بيقضوا واجب بس.

سألته: ليه؟ عمل لهم إيه؟

قول ما عملش إيه؟

ياه، ده راجل وحش أوي كده، يلا اذكروا محاسن موتاكم.

ده مكش ليه حسنات البعيد.

لا كده الموضوع كبير يا شاويشنا، نبعت نجيب الشاي، واحكي لي.

بعت حودة يجيب الشاي.

وقلت له: احكي بقى مين ده؟

اعوذ بالله، ده مش إنسان.

قالى يومها: ده الشيطان اللي في الأرض، أكثر بني آدم مؤذي
عرفته البلد دي، مفيش بيت ما انكواش بناره، كان بيخاف منه
العيل في بطن أمه.

يا سلام للدرجة دي؟

أكثر، ده كان رتبة كبيرة، بس كان مفترى أوي، كان بيعذب
الناس في المعتقلات لدرجة إنهم كانوا بيتمنوا الموت ألف
مرة، رحمة من العذاب اللي كانوا بيشفوه، بدع طرق تعذيب
ميتخيلهاش بشر، كان زي ما يكون شيطان مش بني آدم، كان
لو بص لوزير كان بيترعش من كتر خوفه، ليكون عمل حاجة
زعلته، ولو عجبتة واحدة وحطها في دماغه، يا تيجي راكمه يا
هي وعيلتها كلها تتشرد وتدمر، ولو حب ممكن يطلقها من
جوزها ويتجوزها ولا يصاحبها، كان أقل حاجة عنده أن يطلق
الكلاب على البني آدمين لحد ما الكلاب السعرة بتوعه
تاكلهم، ويقعد يستمتع بسماع صوت صريخهم ويظفي السجائر
في دهم، ويقوم مستمتع.

أنت بتقول فيها كل اللي حواليه، كانوا بيقلوا الشيطان
منه، والشيطان راح.

مفيش بيت اتحبس له واحد في معتقلاته إلا ومرت عليه
سنتين محدش يعرف طريق، وممكن يموت فمحدثش يعرف
طريقه تاني، ويا ويله اللي يسأل أوصوته يعلى يروح وراه.

وأتاري الناس قرقانة منه، محدش جه معاه؟

ولا حد حزين عليه؟

حزين مين يا عم عادل، دول جايين يتأكدوا إنهم ممكن
يميشوا من غير ما يفضلوا متهددين منه، وبعدين هيحزنوا على
مين؟ كل الناس اللي كانت هنا، دي جاية تتأكد إنه مات، أكيد
عشان يفارق كوايبسهم.

يا ساتر، كويس إننا أهل المقابر منعرفش اللي بيحصل بره
في الدنيا دي، ولا حد اتأذي بأذاه.

ده أنتم كدة في رحمة، واحنا كمان اترحمنا من اذا،
عشر سنين لما ساب المنصب، واتحاكم، واترمى في السجن،
فضل الكبار برضه خايفين منه.

ليه بقي مش كان مسجون؟

أصله كان ماسك على الكل حاجات، وكان جوه السجن
بيحرك الدنيا زي ما هو عاوز، ووقت ما هو عاوز، كان بيفرش
لنفسه عشان يطلع تاني، ويصفي الحسابات، ويمكن يرجع
لمنصبه، وده اللي خلي الكل ميينمش من الخوف من رجوعه،
بس ريك أراد لما كان مسافر يقسح نفسه قبل ما يرجعهم،
ويبدأ يساومهم، ويهدد الكل، مات الموة البشعة دي.

يلا، عمل خير.

تعرف يا عادل، الراجل ده قعدنا أربع ساعات نقطع في
العربية لحد ما طلغناه منها، كانت أسياخ الحديد راشقة فيه
وربطاه بالكراسي.

عشان كده، كالت جاية الجثة منفوخة.

لو كان في إيدنا كنا رميناه لكلااب السكة، بس احنا أحسن
منه.

كل واحد بيعمل بأصله يا شاویشننا، بس تحمدوا ربنا إنه
روح واستريح.

على رأيك، يلا، أسيبك بقي سلام.

وبعدها جه ناس قرايبه معاهم ميت تاني، وكان أغرب
طلب طلبوه متدفنوش مع الشيطان مش هيؤذيه دنيا وأخرة،
ودفنته في غرفة تانية، وقلت له: الله يخبك، حتى أقرب الناس
ليك، أذيتهم، ودفنت الراجل وهو اندفن لوحده حتى يومنا ده.



(سامحيني)

في يوم صحيت من النوم على صريخ أمك وعمالة تلطم
بالقفل في هدومها، ولما جريت أشوف فيه إيه، عرفت إن أخوها
السفير فضل مات فجأة في حادثة، وهو بيعدي الطريق الصبح،
وهو رايح شغله، وطبعاً خدتها ورحنا بيت أهلها، والناس اللي
هوانا كلهم اتجمعوا، وغسلنا الميت وطلعنا تصريح الدفن،
وجهزنا الجنازة وطلعنا بيه، وفجأة يا ابني واحنا ماشيين بالنعش
شهر وشه، بدل للتربة لشارع ثاني، نعدل النعش مفيش فايده،
هو مصمم، وده احنا عارفينه يا ابني، كتير كنا بنسمع ونشوف
انعاش طايرة، وانعاش مش راضية تمشي وكارهة تدخل القبر،
وساعتها قعدنا نقول لا إله إلا الله عشان الميت يهدى ويمشي،
مفيش فايده، اضطررنا نلف بيه زي ما هو عايز، مشينا لحد
بيت شحاتة التربي اللي كان معانا في الجنازة، بس بنت شحاتة
كانت متجوزة فضل الميت، بس في يوم من كام شهر اتخانقوا،
وفضل ضرب زينب مراته ضرباً شديداً، وزقها فوقعت على
الباجور الغاز، فحرق وشها، وبعد ما خفت وعرف إن عينها
راحت، طردها من البيت وطلقها بحجة إنه بيقرف من وشها
المشوه ده مع إنه كان السبب، ورجعت زينب لبيت أبوها، وعاشت
فيه وحيدة بعد ما اتقبت، بس طبعاً محدش رضي يتجوزها،
ولا يتقدم لها أصلاً، كان الكل بيخاف منها، والعيال بيطلعوا

وراهما ويحدهما بالطوب، ويقولوا عفريته، فلبست النقاب،
وقعدت في بيت أبوها، واتجوز فضل بعدها بكام يوم وعمل فرح
كبير وحتى مراعاش ظروفها، ولما عملنا قعدة رجالة واتحكم
عليه يدها خمسة آلاف جنيه تعويض، وتأخذ عفشتها، رماهم
لها على الترابيزة وهو باصص في الناحية الثانية، وقالهم مش
قلت لكم: بقرف أشوفها، جاية ليه يا عفريته، خدي الفلوس
وغوري في داهية، ومن ساعتها زينب مفارقتش بيت أبوها، بس
لما عرف الشحات إن فضل مات، حضر وعمل الواجب برضه
لأنهم ولاد أصول.

ولما صمم نعيش فضل يروح عند بيت الشحات، ووقف
رفض يتحرك نهائي، واحنا عمالين نقول لا إله إلا الله، طلعت
زينب وأمها، وأول ما طلعت، فضل تقل بقى زي المصيبة، فنزلناه
من على كتافنا، وقلنا لها: سامحيه يا زينب.

قالت: لا، ودخلت.

مقدرناش نحركه من مكانه، دخل أبوها والكبار بتوع
الترب، وبعد شوية خرجت زينب ثاني وهي بتعيط، وقالت:
مسامحك يا فضل، مسامحك، ثلاث مرات.

وساعتها جينا نشيل النعش اتشال بسهولة، والستات
لمدت تزغرت، واحنا نوحدهم ربنا لحد ما دفناه.

وقعدت زينب على قبره ثلاث ليالي تبكي عليه، عرفت إن
ربنا رجعلها حقها، وبعدها اختفت في بيت أبوها ثاني.



(محمد أخويا)

محمد أخويا الصغير كان دائماً أبويا يقول عليه إنه ابني
مش ابته، ومع ذلك طلع نسخة من أبويا اشتغل تريي بنفس
راضية وسعادة من صغره، وكان بيحب شغلته دي وراضي
بالرزق القليل اللي بيحي منها، وكان دائماً يفتخر ويقولنا
أحسن الناس، الشغلانة دي بتخرج الدنيا من قلبي يوم بعد يوم
لحد ما كانوا يقولوا عليه الشيخ محمد، كان دائماً على وضوء
ومطاهر، ويقعد يدفن ويدعي بالساعة للميت كأنه حد من أهله،
سبحان الله مكنش شبهي خالص، عمره ما عمل حاجة غلط
لحد يومنا ده، وقاطعني عشان أفعالي، ومع ذلك من يوم ما
اتحبست وهو بيجيلي كل زيارة، ويقولني: بدعيلك كل صلاة ربنا
يفضر لك ذنوبك.

أقوله: ادعيلي ربنا يفك أسري، أنت دعاك مستجاب.

يقولي: فك الأسر مش مشكلة، المهم تقابل ربنا نضيف.

اقرأ قرآن يا عادل، وادعي ربنا، نصف نفسك قبل ما
يجي يوم ماتملكش فيه من أمرك شيء.

عشان كده أنا فكرت أكتب لك كل اللي عملته في دنيتي

غلطاً قبل الصبح، عاوزك تعرف، وعاوز الناس تعرف، عاوز
أنضف نفسي، وأنزل عني همومي وذنوبي، عاوز أقابل ربي
نضيف، يمكن يغفر لي كل اللي عملته النهاردة، بس وأنا قريب
من الموت بدأت أوّمن إن في عذاب وعقاب، طول عمري مجاور
للموت وعاش فيه بس مكنتش مؤمن بالحساب والجنة والنار،
كنت بقول دائماً إن مفيش غير الدنيا، وبعدها كله بياكله الدود
ويبقى تراب، هيتعذب إزاي؟ ما الجسم خلاص فني، والروح
خرجت واللّه أعلم بيها، حتى الشهداء شفت الدود بياكلهم،
والأرض بتفنيهم، إزاي ساعتها أوّمن بعذاب وجنة ونار، عارف
إن اللي بقولهولك ده يخليك تقول إن أبويا كان راجل كافر.

بس لا يا ابني، أنا مش كافر إن بني آدم عاش الموت من
يوم ما اتولد لحد ما بقت الدنيا كل هممه، ومطلعتش مني زي
محمد أخويا، العكس دي أنا فضلت عمري كله طمعان أعيشها
بالطول والعرض.

إنساني يا ابني، اعتبرني عبرة، إنما عمك محمد واللي زيه
من التربية النضاف دول هما الأصل، وأنا الشاذ من القاعدة.

عاوزك يا أيمن تفتخر بعمك، ده سندك وعكازك لو
احتجته، والحنة البيضاء في سواد أيامي.

أنا آه سيبتك فلوس كثير، بس سيرة وحشة هتموت بموتي
وهتفضل مهنة التربي لحد ما تقوم القيامة.

بالحلو فيها والوحش.



(الجن)

قريت وبحثت كثير عن الجن والعفاريت؛ لأنني كنت متأكد من وجودهم، كلنا بنحس بيهم بينا وكان لازم أحصن نفسي منهم، وأنا عارف إنهم خلق ربنا زينا، وأقدر أقولك إن جن المقابر هم صنف من أخطر أنواع الجن لأنهم من الصنف المؤذي من الجن، وهم بيعتمدوا على الفرع والخوف الشديد اللي بيصيب الإنسان علشان يلبسه أويضره أو عمل أي ضرر ثاني في جسمه ونفسه.

من المعروف أنه في حالة مرور الإنسان في المقابر هو حالة الخوف والرغبة اللي بتتملك الإنسان لأنه بطبعه بيخاف من الموت ومن الأسرار والحكايات اللي بتحوط المقابر وسكانها، فما بالك بالمرور بين المقابر وخاصة في الليل ومن غير تحصين نفسك أو إنك تبقى لوحده، فالخوف والرغبة بتمسك قلب الإنسان من هول الموقف ومن كثرة الخوف من الأموات والأشباح، ففي كل لحظة يتصور اللي بيعدي في المقبرة ليلاً أن يتجسد له أحد الأموات ليكلمه أو يهَيِّأ له على شكل أحد من أحبابه أو أقربائه أو أصدقائه الذين يعرفهم، وخاصة إذا كان الإنسان يمر لوحده في مقبرة بعيدة عن البيوت، لكن في الأرياف مثلاً المقابر قريبة من البيوت ويتعود أهلها على وجود

المقابر بينهم والمرور بينها ليلاً أو نهاراً، ولا تعود لهذه المقابر تلك الرهبة العظيمة في القلب.

أما بالنسبة للمقابر التي تنتشر في مناطق بعيدة عن أماكن السكن زي اللي احنا فيها دي بتوجد الخوف في النفس والفرع من تجسد الأموات أو الجن أو نهوض الأموات من قبورهم، والمعروف إن الجن بشكل عام يتحسس حالة الخوف التي تتاب الإنسان في أي موقف كان؛ لأن الجن لا يستطيع إخافة أو تلبس أو ضرب وأذية الأشخاص الذين لا تتابهم حالة الخوف والقلق النفسي.

إن الجن يبحث ويتحين هذه الفرصة، فرصة الخوف الشديد ليقوم بعمله المؤذي من تلبس أو ضربه، وضربة الجن يا ولدي بتسبب أثر زي الجلطة في الإيد أو الرجل وغيرها من الأمور المؤذية؛ لأنه من غير حدوث هذه الحالة للإنسان لا يستطيع السيطرة عليه؛ علشان كده احنا عايشين فيها وعادي، إنما اللي بيبقى داخل خايف أصلاً هو اللي بيتأذي.

وبما إن جن المقابر زيه زي كل الجن بيعسس الخوف اللي

يعسس بيه الشخص لذلك يعتبر من أخطر أنواع الجن؛ لأن طبيعته مستعد وفي حالة ضعف شديد، ولذلك أغلب الذين يسيبهم جن المقابر يصابوا بجلطات أو شلل بسيط، ودي الحالة هي الغالبة على أعراض جن المقابر، ولكن ده لا يمنع من حدوث إصابات أخرى كالتلبس أو الجنون أو الوسوسة والهوسة ومكالمات كائنات أخرى لا يستطيع الإنسان العادي رؤيتها، وجن المقابر هم عبارة عن عشائر مكتملة بملوكها ووزرائها وأفرادها، ولكنهم يستوطنون المقابر سكناً لهم وأكثر ما تكون أشكالهم وما يميزهم هو الوجه الشديد السواد واللباس الناصع البياض وكأنهم أشباح وهم الأكثر ما يتشكل بها جن المقابر للإنسان وأكثر ظهورهم على هذه الحالة وهذه الشاكلة

وفي بعض الأحيان الأخرى يتشكل جن المقبرة على شكل شخص معروف من قبل الشخص المار في المقبرة وأكثر أفراد عشيرة جن المقابر هم من القرناء الهائمة والتي تعرف عند العامة بالأشباح بعد رحيل أجسادها عن الدنيا، فلذلك عندما يظهرون فإنهم يظهرون على شكل إنسان متكامل؛ لأنهم يكونون نسخة طبق الأصل عنهم، ومنهم من يتشكل على هيئة قطعة سوداء أو كلب أسود وأحياناً تجدنيهم يمرون من أمامك

كالخيال الذي سرعان ما يختفي، ويكثر الجن أو العفاريت جنب
ترب الحوادث، فتحن سكان مدينة الموتى نعرف ده، ونسمع
الصرخات وأصوات الإسعاف وصرخات الهلع طوال الليل، ولكن
الأشد منهم تلك الأحواش التي يسكنها المقتولين، فهؤلاء أشباح
هائمة لا ترتاح فهي تتجول بالمقابر ليلاً ونهاراً، ويراهم الجميع
منا؛ لذلك نربي الكلاب لأنها تراهم وتشعرنا بوجودهم، وإن كنا
تعودنا عليهم، ولكن هناك حالات نزع منها كلما كانت الميتة
بشعة، كلما زاد هيأهم وعنفهم أحياناً لمهاجمتهم الناس، ولا
تهداً إلا بعد إيجاد قاتليهم، ولكنها تظل أرواحاً معذبة.

أكثرهم رعباً تلك العائلة التي جاءت إلينا مقتولين جميعاً
بطريقة وحشية في سيارتهم على الطريق الصحراوي، وكان وحوشاً
قتلتهم ولكن عند التشريح اكتشفوا أن من قتلهم ليسوا حيوانات
ولكن بشر، ولكنهم عذبوهم وشرحوا حتى الطفل الصغير بلا
رحمة، ولم يستدل على قاتليهم أبداً؛ ولذلك كانت أشباحهم
تطوف ليلاً، وتستمر بالصراخ، وكانت تظهر على حالتهم التي
ماتوا عليها، فكانوا يظهرون مقطعين وتتساقط الدماء منهم،
وتحمل الأم طفلها الرضيع مثل حالتهم وقت الحادث، وكان
الجميع يراهم من سكان الأحواش، ويسمع صرخاتهم، ولكنهم

كانوا يختلفون عن غيرهم، إنهم من الأشباح المؤذية يعني لو
قابلوا بني آدم لوحده، كانوا يهاجموه مش ييمروا وخلاص،
ويقعدوا يصرخوا في ودانه، ومن بعدها مش بينفع نفسه ثاني
علشان كده اجتمعنا كلنا في يوم، وقلنا نشوف حل؟

جبنا المشايخ، ولا في فائدة، أصل اللي زينا المشايخ جزء من
حياتهم، من غيرهم متقدرش نعيش، ولما تعبنا قلنا ننقلهم في
حوش بعيد عن الناس أهو على الأقل نرتاح من أذاهم، ولكن
عمك سليمان قال: ودول مين يقدر ينزلهم لوحده، دول مؤذيين.

فقال الكبير بتاع التربيّة وقتها عم إسماعيل الله يرحمه:
نفتحها ساعة أذان الظهر، وندخل المشايخ يقرؤوا الأول، وبعدها
ننقلهم أبعد حوش بحيث يبقى دفتهم ساعة صلاة العصر،
وربك الحامي بقى، دي شغلتنا وكلنا عارفين مخاطرها، وفي
مننا اللي اتلبس واللي اتمس، وأهم المشايخ هنا بس نبعث
لأهاليهم بقى عشان نعمل الورق.

قاله عم أحمد: بلا أهاليهم بلا وش هيجوا يمنعوننا، وبعدين
إن قلنا شوقنا عفاريتهم، هيقولوا علينا مجانين.

فكر عم إسماعيل شوية، وقال: على البركة، يبقى ننقل من غير وش، وعمومًا هما لما هيجوا مش هينزلوا يبصوا عليهم تحت، موجودين ولا لا.

يبقى خلاص بكرة الظهر ننقلهم، عم أحمد قال: كده أحسن، هما سايين أمواتهم يعذبونا، ويسرعوا عيالنا، وإن اتكلمنا هيقولوا مجانين.

اتفقنا كلنا، وفعلًا كله أتوضا وقرأ القرآن من كتر الخوف، ونقلناهم زي ما قال عم إسماعيل لأبعد حوش في الترب عند الأحواش المهجورة اللي فيها يصطفوا مع بعض.

وأنا اللي نزلت، وكنت شايف طول ما أنا بشتغل الست وهي شايلة ابنها وقاعدة سائدة على الحيطه في التربة، ويتسرح لبنتها شعرها، وكل بصة منها تشقني نصين، ولما جينا نطلع الراجل طارت البلطة بتاعة حسن التربي اللي بيسلك بيها حوالين الباب، ورشقت في ظهر عم أحمد التربي، وساعتها كلنا متنا من الرعب، بس صممنا نطلعه برضه، وبالذات إن عم أحمد رغم إن البلطة كانت راشقة فيه بس منزلتش ولا

نقطة دم، وهو كان واقف حاسس بالألم موقعش حتى، ودي من أفعال الأشباح والجن يا ولدي، علشان كده كملنا حضر، والشيخ حمودة قعد يقرأ على البلطة لحد ما طلعتها من ظهره، ومكنش متعور ولا حتى مجروح، خربوش صغير بس كان مكان سن البلطة، ومخافش لحد ما مات، وعشان تعرف حاجة، جروح الترب عمرها ما بتطيب، لازم يفضل ليها أثر طول العمر، ولو بصيت لإيدينا كلنا تلاقيها هرب منها الدم وبقت زرقاء، وده اللي بيخلي الناس تقرف منّا وتديك الحاجة وهي رافعة إيديها خايضة إنك تلمسهم، حتى احنا منبوزين من الناس مع إن من غيرنا كان زمان جثثهم ماليا الشوارع تاكل منها الكلاب الضالة والتعالب.

ولكن هما كده البني آدميين ويمكن لو كنت منهم كنت هعامل التربيّة نفس المعاملة.

ونقلنا العيلة الشؤم دول بره خالص، ولكن يا ويله من كان حظه وعدي من هناك بالليل، اللي اتجنن، واللي مات من كتر الخوف، أصل كان الأحواش المهجورة بتسكن، ومع مرور الأيام جم جماعة قرايبهم زاروهم وده كان نادر أوي بالنسبة لعيلة

بحالها راحت، يا بيجي أهل الست، يا أهل الراجل يزوروهم،
ولكن ضحايا حوادث القتل بيتأخروا أهلهم شوية عشان
التحقيقات وكده، ولما جم قعدت معاهم قدام الحوش الفاضي
اللي هما فاكرينهم مدفونين فيه، وسألت عليهم، وإن كانوا لقوا
القتلة ولا لا؟

حكّت لي الست، إنهم ملاقهومش، وإن الموضوع طول، وهي
فقدت الأمل.

وسألتها إن كان ابنك ولا مراته معاهم فلوس كثير أودهب
فحد أذاهم؟

قالت لي: كان معاهم يا بني كثير، فلوس مالهاش عدد،
ومعرفش لما كانوا في العربية كان معاهم ولا لا؟

بس مرات ابنها بتلبس دهب كثير والماظ، وحتى هي متعرفش كميته.

قلت لها: أنت مش عايشة معاهم؟

قالت لي: لا، ابني طول عمره مؤذي، كان بيضريني أنا وأبوه،
وكنّت دايمًا أدعيله، ومرضاش أدعي عليه، أقول ربنا يهديه

وبلش شباب لحد ما كبر واشتغل، ويشهد ربنا إنه مصرفش
عليّ ولا على أبوة جنيه من يوم ما اشتغل، حتى مصاريف البيت،
ولا علاجنا، وكان لسانه مؤذي، لو جيت تكلمه باللين حتى شغله
مكتاش نعرف طريقه، وما جمع إلا لما وفق، اتجوز واحدة شبهه
حتى إن أمها يوم الفرح قالت لي: أنا بجوزها حسبي الله ونعم
الوكيل فيها، عشان أخلص منها برضه.

كانت شغالة معاه في الشغل، وسبحانك يا ربي حتى بنتهم
المرتين تلاتة اللي شفتها فيهم، كانت زيهم، وأصعب عيلة صغيرة
بس يا ربي تتريق عليّ وأنا ماشية وتقولي: مش هتفارقينا بقي.

أصله مكتش بيجيلنا خالص، ولا بيزورنا، وأنا اللي كان
قلبي بيحن أقوم أروح له، وكانوا بيعاملوني أسوأ معاملة، وأحلف
مروحش تاني، ولكن أسيب كام سنة، وأقول أروح أطمئن عليه،
وأطلع من عندهم معيطة، وأحلف مروحش، آخر مرة شوفته
من سنة وست شهور تتخيل دي، وانهارت في بكاء مرير.

حتى لما مات مرضيوش يدخلوني عليه التلاجة، قالولي:
مش هتستحملي.

وأبوه دخل وطلع من بعدها مش حاطط متطوق، الراجل وقع
من طوليه من اللي شافه، ومرضييش يحكي لي، بس أنا عرفته
من الجرايد، كنت طول عمري خايقة وعارفة إن نهايته هتكون
وحشة، كنت بسمع الناس لما تقول إنه مؤذي ويبأذي الناس
أكل عيشها، بس كنت بدعي ربنا يهديه، هعمل إيه يا ابني، الأم
بتدعي بلسانها وقلبها يقول بعد الشر.

ليكي ولاد غيره يا حاجة؟

لا والله يا ابني، مكنش ليه غيره وأهو راح، الحمد لله.

الله يرحمه.

ادعيله يا ابني، أنا اتبرعت بكل فلوسه للفقراء، واللي جالي
وقالي كان ليه حق عنده ادتهوله، حتى من غير إثبات، ابني كان
عنده كتير بس معندوش رحمة ولا إنسانية، بس لا زرعك ولا ولدك
تغضب عليه، معدش من تركته إلا شقته كنت ناوية أبيعها بس
الجيران بيقولوا إنها طول الليل بتخبط وترزع مع إنهم مراحوش
هناك بعد موتهم، بس الله أعلم كلوا بيخاف يقرب لها، وأنا قفلتها
وسيببتها لنصيبها، أنا مش هعيش قد ما عيشت.

قلت في سري يعني أذاهم دنيا وأخرة وهنا وهناك.

قالت لي: في حاجة يا ابني؟

قلت لها: ادعيله يا حاجة، وسيبتها ومشيت.



(صراخ التوابيت)

أكثر حاجة ميقدرش البني آدم يسمعها ويستوعبها هو
صراخ الموتى، وكان أشد صوت في حياتي سمعته ومقدرتش
أسمعه هو صراخ التواييت، مع إن الخوف كان خلاص سباب
قلبي، ومعرفش ليه طريق ثاني، إنما اليوم ده مش هنسأه عمري،
يومها رحت عند عم جرجس تُربي الكنيسة اللي مدافنتهم آخر
الترب بتاعتنا، وهو راجل طيب أوي بروحله أشوف فيه طيبة
أهل مصر والنوبة، عم جرجس طول عمره بيخدم في الكنيسة،
ومن يوم ما دخل الترب مبيطلعش إلا للصلاة في يوم الأحد،
ولما يبقى في موتي بيدفنتهم، وهما غيرنا في الدفن هما بيدفنتوا
في تواييت بتتحط في فتحات في الحيطه كده مش بيدفنتوا في
تراب، ويلبسوا الواحد كل لبسه ويحطوله الريحة اللي بيحبها،
ويسرحوله شعره ويدفنتوه وشه مكشوف، مش زينا بيلفوه في
كفن، وتلاقهم مشغلين بخور، والحزن مخيم على مواكب
الموتى عندهم، ورجال الدين مشاركين، وعم جرجس كل مهمته
يساعد في دخول القابوت ده مكانه، بس لما بيكثر عدد الموتى
عن عدد الفتحات اللي في الحيطه دي بيضطر زينا يفضي
عيون للوافدين الجدد، وده بيكون عن طريق أن يفضي عين ولا
اتنين من التواييت دي ويحطهم في حاجة زي العضامة عندنا،

وبيبقي التابوت مالوش لازمة ومالوش مكان، فبيفضي العضم
بس ويفضل الخشب بتاع التابوت مينفعش يستخدموه ثاني
علشان خلاص القماش اللي فيه اتحلل فيه الميت، والخشب
عفن فبيولعوا فيه، واليوم ده رحت لعم جرجس أسأل عليه،
ولقيته بيفضي العضم في العضامات، وكنت أول مرة أعرف
الحكاية دي، ونزل التواييت وولع في الأولاني عادي، والثاني أول
ما حطه في النار بدأ يصرخ بشكل فزعني، وعم جرجس واقف
يصلي ويقول: اهدى يا ولدي، لا تخف.

ومن شدة الصوت خفت ومشيت جري، مبقتش عارف
أعمل إيه، ولا أساعد إزاي، وتاني يوم رحت أطمئن على عم
جرجس لقيته قاعد قدام الأحواش زي عادته مشغل بخور
وماسك كويابة الشاي.

سألته: إيه اللي حصل ليلة امبارح؟

قال: مفيش.

قلت له: إزاي، ده الصراخ والصوت فزعني وخلاني جريت،
مقدرتش سامحني.

قال: يا ولدي دي روح خيفة، بنصلي ونطمئنها.

خيفة من إيه؟

ده مات من سنين هو لسه هيخاف ويحس؟

قال: عيبك يا عادل إنك مش مؤمن إن دي أرواح غيرت
شكلها، بس لسه موجودة معانا، حارسانا يا ولدي، دول بركتنا.

حارسانا إزاي يا عم جرجس، ده احنا اللي اتربطنا ليهم
عشان نحرسهم ونقضي حياتنا كلها متعذبين، الاسم أحياء
والفعل موتى.

ده مش عذاب يا عادل، لو تعرف إنك في نعمة، وإن رينا
اختارك ليها هترتاح.

أنت برضه يا عم جرجس بتتكلم زي أبويا، جايز ده اللي
بيخليني أجيلك، بشوف فيك أبويا علشان كده بحبك.

وأنا كمان يا عادل، بحبك زي ولدي اللي مخلفتش.

صحيح، أنت ليه اترهبت ومتجوزتش يا عم جرجس، ما ممكن كنت تخدم الكنيسة وأنت متجوز عادي برضه.

هحكي لك يا عادل، من يوم ما وعيت على الدنيا في أسوان، وكانت أمي نوبية وأبويها من أسوان، وأنا بشوف اللي محدش غيري يشوفه، كنت مختلف عن كل العيال في بلدنا.

إزاي يعني يا عم جرجس؟

كنت حاسس إن ربنا اختارني لخدمته، وعشان كده قريني منه، كنت لما أشوف قطعة أعرف إن كانت قطعة عادية يعني ولا روح متلبسة فيها، ولما كنت أشوف حد كنت بعرف إن كان هيخف ولا هيموت، وقبل ما يموت حد حتى لو مش عيان كنت بشوف في عينيه الموت جاي قريب.

يا سلام، وده إزاي؟

معرفش، ولا كنت حتى أدرك أنني أعبر عن ده، وعشان أبويا كان راجل متدين، كان بياخدني الدير كل ما يروح هناك، وهناك بقى كنت بحس براحة كبيرة كأني في الجنة، مش عاوز أرجع

ثاني، كان الدير في وسط الجبل، وكان فيه شجر طول السنة اخضر، وكان الرهبان هناك لا يكلوا ولا يملوا من الشغل، بس اللاقي على وشهم رضا، ودايمًا الابتسامة مش مفارقاهم رغم مشقة حياتهم، ولكن اللي غير مسار حياتي كلها، في يوم كنت راجع من المدرسة بالليل، واحنا عندنا بعد المغرب الدنيا بتبقى مقطوعة ولا صريخ ابن يومين، وكنا كلنا لازم نروح قبل المغرب بهوتنا، الليل ده بتاع المطايرد والعفاريت، بس يومها قلت: أنا هروح الدير لوحدي، أنا عارف الطريق كويس، ونفسي أروح.

وعاندت نفسي، ومشيت لحد هناك، ولكن أول ما الدنيا ضلعت خفت وحسيت إنني تايه ومش هعرف أوصل لوحدي في الجبل، فرجعت جري وفجأة في الطريق اللي نزلت منه لقيت قطتين كبار مقاربين للجبل في الطول بيتكلموا زي البني آدمين، معرفتش أعمل إيه، طول عمري بسمع عن النداهة والعفاريت بس عمري ما شفتهم إلا الليلة دي، وعرفت إنني هالك لا محالة، وقعدت يومها على الأرض، مش قادر أقوم من مكاني، وقعدت أصلي كل الصلوات اللي حافظها، وأكررها لحد ما اختفوا من قدامي والرب حفظني، روحت ليلتها وأنا مصمم أبقي راهب، وأعيش عمري كله أعبد ربنا بس، هو الأهل والولد وكل حاجة يا ولدي.

قلت له يومها: أنت راجل طيب يا عم جرجس، بس لما
تحب تحرق توابيت تاني ابقى قولني عشان ما أجيلكش،

وقعدنا نضحك لحد ما مشيت.



(بعد الثورة)

بعد الثورة وهروب المجرمين من السجون، ملقوش إلا
الترب يستخبوا فيها، ما هي طول عمرها الترب ماوى ولاد
الليل والمجرمين، بس الوضع عندنا هنا مختلف في البلاد
البعيدة، بيسكنوا هناك ومحدث بيقدر يقرب، بس بيبقوا
برضه مكشوفين للناس عشان مقيش أحواش زي هنا، وعشان
كده بيسمعينوا بالسلاح والأساطير والحيوانات حوالهم عشان
الهيبة ومنع أي حد يقرب، إنما هنا هما محتاجين حد يأويهم
ويغيبهم وقت اللزوم، لو ظهرنا من غير حماية هينكشفوا،
والناس اللي ساكنة هتعرفهم، وعشان كده لفوا على التربيّة
كلهم عشان يخبواهم، اللي خاف ورفض، واللي قبل، واللي
منهم كان قوي فهدد التربي ذات نفسه إنه لو مسكنوش عنده
هيقبله أو يقتل حد من عياله، عشان كده أغلبهم سكنوا عندنا
في الترب، بس لأن الطبع غلاب وأكثرهم مجرمين بالفطرة،
نقلوا معاهم نشاط جديد للترب، ونوع ثاني من التجارة الحرام
مكناش نقدر نفكر فيه قبلهم، وكان نشاطهم تجارة السلاح
والدعارة وتجارة المخدرات، والمخازن موجودة في غرف الميتين،
مين هيقدر ينزل يفتش عندهم، وبعدين هيفتش فين ولا فين،
ده جوا الترب سراديب وأبواب محدش يعرف عنها حاجة إلا
التربيّة أبا عن جد زيننا كده.

وزي زي غيري أويتهم وقعدنا سوا طول الليل في جلسات
الحكايات اللي متخلصش، ولما قلت لهم: مالوش لازمة، واشتغلوا
معايها واهي بترزق من المقام والدفن وبيع كام حنة.

قالولي: لا، ده رزق ميكفيش، والإيد البطالة نجسة، وكمان
أيامها كانت الجنت رخصت أوي، كانت الجثة كلها بتتباع
بـ ٣٠٠ جنيه، من يوم ما عملوا الهياكل البلاستيك دي، وشددوا
على الجثث، بقت العيشة ضنك، والرزق قليل مع إن العروسة
البلاستيك دي بكام ألف جنيه، ما هو صحيح الدنيا دي أرخص
حاجة فيها الإنسان، وبعدين الميتين كانوا مالبين الميادين، واللي
عاوز كان بينزل ياخذ اللي هو عاوزه، هتستغرب كلامي يا
ابني بس أنا شفت وسمعت إنهم كانوا بيسرقوا الميت من
دول، وياخدوا الجثة يبيعوها، والأخر يقولك ناس اتفقدت مش
لاقيهم لا أحياء ولا أموات، ومنهم من كان بيقول بني آدم متفاظ
منه، ويرمي جنته في الشارع ويخلص منه، أيامها كانت أيام
سودة، كانت الترب علطول مفتوحة، مش بتلحق نقفلها وكان
أغلبهم شباب، وكان أهلهم في حالات صعبة، وكثير منهم كان
بيوصل ابنه يوم، ويوصلوه هو اليوم اللي بعده، وكنا مبنقدرش
نطلب حتى فلوس للدفنة من كثر الحزن، في بعضهم كان بيدينا

والتانيين في دنيا تانية مش مصدقين إن عيالهم ماتت أصلاً،
وكان في كثير لا معروف له اسم ولا عنوان، ودول اتأخروا شوية
علي ما جم للدفن، وكانوا بقالهم شهر في الثلاثات، وجم
موظفين الصحة في يوم بعريية كبيرة فيها ولا تمانين جثة،
ولما قلت لهم: مين يقدر يدفن كل دول في يوم؟ ده أنتم ثلاثة
وأنا وحوده اتنين؟ إزاي خمسة يدفنوا كل دول؟ ومين هيشيلهم
وينزلهم؟

قالولي: ملفاش دعوة، احنا هننزل الحمولة هنا، وأنت
اتصرف.

وفعلأ نزلوا الموتى كلهم، وجمعت كل تُرْبِي رضي يجي
ويشارك من غير فلوس، ومع إن عمك محمد مقاطعني، بس
جه هو وكل عياله، وقعدنا نرصهم رص في الغرف لحد ما
اتملت، فضلنا طول اليوم ندفن لحد الساعة يجي اتناشر
بالليل، وبعدها قعدت الترب ولا أسبوعين تقدر تعدي من
الريحة، عمرها ما حصلت يتدفن كل دول في مكان واحد كده،
وعموماً الريحة دي كانت في كل حنة، وكان الموت في الشوارع
وكل مكان لدرجة إني حسيت إن مصر كلها قلبت ترب كبيرة،

واحدنا ذات نفسنا كنا قاعدين في التربة خائفين من قلة الأمان في الدنيا، والسرققة بقت شغالة، نصحى الصبح نلاقي الأبواب بتاعة الأحواش مسروقة، اللي بقالها يجي مائة سنة وتتسرق، عشان كده أنا قررت إنني أستغل المساجين الهريانيين في حمايتي وحماية منطقتي، وطبعاً هما ليهم طرفهم ووفرت لهم الفلوس، جابوا السلاح بسهولة كان في كل حنة وأجدع حنة بألف جنيه مسدسات واللي كله موجود، المهم معاك تمنه ولا لا، وساعتها كان في تربي اسمه محمود مسكن واحد مسجون اسمه مصيلحي، كان ميكانيكي وظبطوه وهو بيصنع الخرطوش والمقروطة، وساعتها عمل ورشة صغيرة كده في التربة، وكان الشغل عليه موت، كانوا شغالين ليل ونهار، الكل شال الخرطوش، عمل ملايين في كام شهر، وأنا أقنعني صابر اللي كان واخد تأييدة في بيع المخدرات وهرب إنني أعمل معمل للمخدرات في التربة الله ينتقم منه، هو اللي دمرني مش قادر حتى أذكر اسمه، هكملك عشان أنا حاسس إن الوقت خلاص قرب، أنا عشت مع الموت عمري كله، وبعرف لما بيقترب، وطاوعته وعملنا المعمل وخزنا الحشيش في حوش واحد من البشاوات، الأحواش القديمة اللي معدش حد من أهلهم بيعجي، غالباً كلهم سكنوا الحوش وخلصت سلالتهم،

وحفرت جوه التربة باب يفتح على ممر قديم كانوا بيعملوه في التربة زمان عشان كانوا بيخافوا من الحرامية فيعملوا التربة فوق إنما غرفة الدفن بعد الممر في غرفة ثانية، وده حصل لما اشتهرت قصة الحرامي اللي نزل يسرق طقم الأسنان الذهب من فم الميت، وكان بيعمل كده دايمًا لكن حظه في يوم كان الميت مغنى عليه بس وافتكروه مات فدفنوه، وأول ما ده قد يدق في فمه عشان يطلع الطقم الثاني، صحي ومسك إيده، والحرامي مات من الخضة، والميت صحي ثاني، دي قصة من آلاف القصص اللي بنسمعها من يوم ما اتولدنا، منعرفش صح ولا غلط، ولكن مصر كلها سمعتها ونقلتها عن بعض، ومن ساعتها الأغنياء بقوا يعملوا غرفة جوا غرفة عشان خائفين على موتاهم.

وإن كنت دايمًا بفكر هما عملوا كده عشان الحرامية، ولا هما عملوها عشان يضمنوا إن الأموات ميصحوش ثاني، ولكن في كل الأحوال كتر خيرهم، أنا استفدت من ده بعد مائة سنة، وبقيت بخزن في الغرف دي البضاعة، وعملت المعمل عشان يخلطوا الحشيش الأصلي بالحنة، ويضيفوا عليه أقراص الترامادول عشان يدي مفعول أقوى للحشاشين.

(الكيف)

وزي ما بيقولوا طباخ السم بيدوقوا، أنا كنت طباخ للسم
ودوقته وبقى مش بيفارقني لا ليل ولا نهار من أول سيجارة
الاصطباحة الصبح لحد سهرة طول الليل من حجر لحجر،
وطبعاً الرجالة دي كانت سايبه بيوتها متقدرش ترجع لها، فبقى
كل واحد يعرفله واحدة ويثق فيها بيعت يجيبها، والكل يشارك،
وكل واحد ياخذ له شوية متعة قد ما يدفع، وكانت الحریم دي
زيها زي أصحابها متشردين لا بيت ولا مأوى، من بيت لبيت
ومن سرير لسرير، زي ما هي من راجل لراجل، معندهاش
مشكلة تعيش فين، المهم تلاقي الفلوس والمزاج فين، وشوية
بشوية لما لقوا الشغل كتير في الترب والسكن والمزاج سكنوا
هما كمان، وكل واحدة كان ليها صاحب بلطجي يحميها ويشغلها
ويسكن معاها علشان محدش يقدر يقولها حاجة، وبقوا الزباين
من جوا سكان المقابر ومن بره، اللي جاي معاه مزاجه بس
عاوز المكان بس، واللي جاي عاوز مزاجه من هنا كله موجود.

وطبعاً قعدات الأتس دي مكتتش لأهل المقابر بس، بقت
ليهم واللي عاوز يجي من بره من سكان المناطق اللي حوالينا،
وفتحنا كشك للسجاير والبيرة الشيء لزوم الشيء، وكله موجود
لحد ما جه في يوم واحد اسمه علام تاجر مخدرات برضه بس

كبير، وقال ياه ده أنتوا قاعدين على كنز ومش داريين، وبتروضوا
بالملاليم دي، وساعتها كله تنح وفتح عنيه وفتح ودانه علشان
يسمع فين الكنز ده وهنجيبه منين؟

من تحت إيديكم بترموه هنا وهنا.

متحيرناش وقلنا هو إيه؟

العضم بتاع الموتى اللي مالي الأحواش عندكم.

ما احنا بنبيعه لطلبة الطب، بس أكثرهم بياخدوا الجديد،
إنما القديم بيترمي في العضامات.

واللي عنده التجار اللي تشيل كله وتقدر!!

سألناه: يا ترى مين التجار دول؟

ويستخدموه في إيه؟

الكيف ده أغلى نوع من المخدرات، الهيروين، البودرة يعني.

طب وإيه علاقة البودرة بالعظم بتاع الميتين؟

في نوع من البودرة دي بيتعمل في المعامل اسمه بيسة، وده
رخيص عن الهيروين ويبيدي نفس المفعول بتاع الهيروين.

وده بيتصنع إزاي؟

في معمل.

زي معمل الحشيش بتاعنا كده؟

لا، هو عاوز شوية حاجات بسيطة هجيبها لكم ونبقى
جاهزين.

طب واحنا هنخلي العضم بودرة إزاي، هندقه؟

احنا هناخد الجماجم بس علشان هي اللي بتشبه لون
الهيروين وهندقها دق بس مش ناعم أوي، ونخلطها ببودرة
هيروين وترامادول وشوية أحماض كده، ونحطها في أكياس
ويبتاع بالجرام ويتعمل أحلى دماغ وأحلى فلوس.

بس عاوزكم تنزلوا العضمات تجمعوا الجماجم علشان نبدأ
علطول.

فأطلق أحدهم عبارة ساخرة: وأتاري الميتين دول دماغهم
متكلفة أوي.

فضحك الجميع، ورد عليه آخر: ما هي راس من غير كيف
تستاهل القطع بالسيف.

وأخذنا الدخان الأزرق إلى أحلام أخرى كبيرة، حلم المال
الكثير.

ولم يخلف شيطاننا مواعده كثيراً، ففي ظرف أسبوع
واحد كان العمل جاهزاً وعملية جمع الجماجم على أشدها،
وأسبوع كمان وكان كل الشمامين واقفين طوابير على الحوش
وسط حراسة البلطجية بتوع، وأنا قاعد على الكرسي أوزن
الأكياس بالجرام وأبيع، لا يختلف المشهد كثيراً عن مشاهد
أفلام السينما، وعندما ينفذ المولد تقسم الأرباح إلى ثلاثة
أجزاء: جزء لي، وجزء للحراس، وجزء لعلام صاحب الفكرة،
ومع كده كان بيع الحشيش شغال، والليالي الحمراء كمان، وكله
بيعبي ويحط في حجري، ومع كل ده كنت فاكر إن القلوس هتبقى
طريقي للخروج من المقابر، بس العكس ربطتني بيها أكثر،

وبقت كل حياتي فيها بالنهار تربى وقت اللزوم، وبالليل تاجر،
بدير رأس مالي بأجسام البني آدميين، ومقدرش أبعد عشان
لو طلعت أوسهيت يوم واحد هيستولى واحد من كل دول على
مكاني، ومش هقدر أتكلم فبقيت عايش عيني في وسط راسي،
إن كانت دي اسمها عيشة أصلاً، أنا كنت زي زي الأموات اللي
بدهنهم، حتى شكلي اتغير، تحس إنني مومية ماشية متحنطة
في الشارع.

وبقيت عندي ثلاث أنواع من الأحواش لممارسة الشغل:
حوش الحشيش، وده زي غرزة صغيرة كده، تدخلها تلاقي
الدخان الأزرق في كل مكان، وزبانه هاديين مبيعملوش مشاكل،
متعودين عليه يعني لا بيسكروا ولا بيتطوحوا، وفي حوش ثاني
اللي فيه الستات والخمرة والبيرة والحشيش برضه والبودرة وكل
واحد ومزاجه، وده بيبقى كله مشاكل علشان كده أكثر الحراسة
بتبقى عليه، وعموماً كل بلطجي مسرح واحد بيحرسها، بس
مشاكله كتير ودايماً خناقات، وبيعوروا بعض وساعات بتوصل
للموت كمان، وطبعاً كان كله بيخرس، ونشيل الميت نزميه في أي
حوش وخلاص ولا من شاف ولا من دري، وغالبيتهم محدش
بيبقى عارف هما كانوا هين ولا اختفوا هين، علشان كده

محدثش بييجي عندنا يسأل عليهم، ولو حد جه سأل عليهم
بنقول لا شوفنا ولا نعرف، وساعتها من خوفه يمشي.

والحوش التالت، الشباب بتوع ضرب الحقن والبيسة، ودول
أكثرهم ولاد ناس مش عارفين يودوا فلوسهم فين، ودول بييجي
منهم فلوس كتير أوي، بس برضه مشاكلهم كتير وأغلب الأيام
بعد ما بيتعاطى بيفضل مرمي كام ساعة على ما يفوق، وبعدين
يمشي ومكنتش بحب إنهم يفضلوا بقولهم خدوا بضاعتكم
وامشوا بعيد عشان ييبقى معاهم عرييات فخمة، وتلفت النظر،
وأهاليهم هيهدوا الدنيا لو جرالهم حاجة، بس الفلوس اللي
وراهم بتخلينا نستحمل، أبو قرش بيتباع ليهم بعشرة، ومش
فارق معاهم.

ومرت أيامي كده، طبعاً أنت متعرفش كل ده علشان لأنا
بعدتك عننا، وأنت كنت فاكِر إن أبوك وأمك بيشتغلوا بره مصر،
وطول عمري عايش كدبتي، وبجيلك الأسبوع ده في إسكندرية
عند بنت عمك اللي رينا فتح عليها واتجوزت بره المدافن من
موظف، وقطعت كل علاقة تربطها بينا وبالماضي، كانت زي
بس هي رينا حقق لها مناها يوم فرحها بقولها: أنت رايحة
عند البحر يا هناء، يا بختك.

قالت لي: ومش ناوية أرجع تاني.

وسنة ورا سنة مرت وأنت بتكبر قدامي، وبمنعك من
الخروج بره الحوش، ولا مخالطة عيال الترب وحابسك فيه،
بس كنت حاسس إنك بتشوف الموتى، وكان بيتأكد لي ده لما كنت
بتتفرع لوحذك وأنت نايم أوتصرخ فجأة، وكان قلبي بيتقطع
عليك، وعشان كده كنت حابس معاك كلب عشان الحيوانات
بتحس بيهم، وأول ما كان يهو هو كنت أجري عليك وأحضنك
جامد زي ما أكون بحميك منهم، أنا كمان كنت بشوفهم وأنا في
سنتك، ومكنتش عاوزهم يملكوا منك زي ما اتملكوا مني، ويوم
ما ابن عبد الفضيل ابن التربي اتبدل بعيل من أبناء الجن
ولقينا الدنيا، كنا بنبص للعيل اللي عنده ست شهور نلاقيه
وش راجل كبير زي ما يكون عنده مائة سنة، ولون عينيه أحمر
زي كاسات الدم، كان ابن ولاد الجن، وطبعاً هتسأل نفسك أنتم
تعرفوا ولاد الجن منين؟

هقولك يا بني: احنا من كتر ما عشناهم عرفناهم
وعرفونا ومرجعش تاني إلا لما جينا شيخ مغربي وحط العيل
في حلة وولع عليه النار، واحنا قلبنا مولع إزاي هيرجع ابنه

تاني، والواد كده هينحرق، وفعلاً سمعنا صرخة جامدة من جوة الحلة المتغطية، فالشيخ شالها بسرعة من على النار وفتحها، لقينا ابن عبد الفضيل تاني وقعد الشيخ كام يوم ياخذ عليهم عهدود ميرجعوش تاني، وحتى العيل اللي رجع منفعش نفسه تاني ومعداش شهرين ومات، علشان كده حبسك في الحوش وحراستي المستمرة ليك كانت عندي أهون من إنك تكبر زي في وسطهم، ويومها مخلصت الشيخ المغربي مشي إلا لما عملك تحويطة شديدة تحميلك، وأول ما بلغت ست سنين كان لازم أطلعك علشان تروح المدرسة، بس مرضتشد أدخلك المدرسة اللي في المقابر علشان متخلطش بأهلها، وعشان كده قدمت لك في مدرسة خاصة، واتفقت مع عكاشة السواق يوديك ويجيبك، بس برضه كنت هخبي عينك ما أنت بتشوف المقابر وأنت داخل وخارج، علشان كده قررت في يوم لأبعدك عني نهائياً، كان على عيني بس وجودك كان معذبني أكثر، ويوم ما لقيتك خرجت وأمك بره، وبتاخذ رحمة من الناس، غضبي وصل لأخره، وضربت أمك علقه كانت هتموت فيها وسط عياط أمك ونديها وإصراري، رحت لهنا بنت عمي ربنا حرمها من الخلفة، وكان العيب من جوزها، ومع إنه اتحايل عليها يسببها

ترجع لأهلها علشان ميظلمهاش، بس هي صممت تفضل معاه ومترجعش المقابر تاني، وفتحت مصنع تيركوا واستقرت في إسكندرية، ورحت لها في يوم وقلت لها تاخذك عندها، وأنا هتكفل بكل بمصاريك.

قالت لي: عيب، ده هيبقى ابني اللي ربنا حرمني منه، وفعلاً يومها رجعت، ومع الفجر كنت واخذك ومساخر وواخذ معاك كل حاجتك وورقك، وقدمتلك في المدرسة هناك وأنت عارف إزاي كانت هنا حنينة عليك، حتى بعد ما جوزها مات، فتحت لك بيتها وقلبها كأنك ابنها بالظبط، والأسبوع اللي كنت بجيه أنا وأمك نقضيه معاك بحجة إني شغال في الخليج سواق، كانت بتفتح لنا بيتها، وأنا أمنت لك مستقبلك، كل قرش كسبته حطيته باسمك في البنك، وهتلاقي رقم الحساب مع هنا.

هتقول في بالك: أمنت مستقبلي بفلوس حرام؟

هقولك: مكنتش عاوزك تتحوج لحد، ولا تعيش مجبور على عيشة كرهتها زي، بس طلبتي الوحيد إنك اللي تدفني، عارف إنها مش بتاعتك، ولا تعرف تعملها إزاي، بس أنا عاوزك توجهني للقبلة زي ما أنا وجهت أبويا.

ساعات كنت بقول ما هناء مشيت.

ياريتني كنت مشيت زيها، بس ده قدرني أنا مش شيطان
زي ما أنت شايفني دلوقتي، أنا إنسان غلط، كثير شاف الموت
وعايشه كل لحظة لحد ما هانت عليه الدنيا والأخرة، كانت
أخطائي كبيرة علشان لم أتعظ تعرف ليه يا ابني؟

العيب على مشايخنا اللي سابونا لا وعظ ولا تنبيه، والبلد
اللي نبذتنا ولا كأننا بنحمل جنسيتها زي بقية الخلق، والناس
اللي عاملونا زي الحيوانات كأننا عفاريت، وكانوا بيشمئزوا منا
مع إننا بني آدميين زيهم.

والحكومة اللي لقت الناس سكنت في القبور، فقالت وماله
ما هم كده كده ميتين، لما طلبنا مساكن نعيش فيها عملولنا
مدارس وجوامع، يعني من الآخر اثبتوا، ده مكانكم، اتحكم
عليكم تعيشوا فيه ومتطلعوش منه ولا حتى على ظهركم زي كل
البنّي آدميين، تدفنوا مكانكم.

كان حلمنا في يوم ماسورة ميه نظيفة، وماسورة صرف
صحّي، قالولنا: لا منقدرش نحفر في وسط الموتى.

احترمموهم ومحترموش إننا عايشين.

وده مش مبرر لأفعالنا، بس احنا غلطنا زينا زي ناس كثير
عايشين بره المقابر، وبرضه بيغلطوا بره المقابر مخدرات ودعارة
وتجار سلاح برضه، وناس بتبيع البنّي آدميين وهما على وش
الدنيا مش موتى.

أنا مش شيطان ولا ملاك، أنا إنسان قرب يقابل ربنا وخايف،
وأنا اللي معرفتش الخوف وأنا عايش طول عمري فيه.

والنهارده اتحاكمت على جريمتين، واتحكم عليّ بالموت،
غريب أمرهم ما الموت طول عمري محاوطني، واركتبت جرايم
كثير أوي بس دول أبشعهم، كلكم حاولتوا تعرفوا أنا هنا ليه؟

وليه مش بتكلم وأبرئ نفسي؟

وأنا مش هتكلم، عارف ليه؟

لأنّي لو اتكلمت هحكم على ناس كثير بالموت معايا مش
ذنبهم حاجة، أه ارتكبوا جريمة يومًا ما لكن التمن كان غالي
أوي.

وربنا حكم عليّ أدوق نار كل جرايمي في جريمة واحدة أنا
عملتها .

جائز أنت مش فاهم حاجة دلوقتي، لكن لما أحكي لك
هتفهم كل حاجة .

بس عاوز منك وعد غليظ إن اللي بيني وبينك محدش
هيعرفه، وإن سري هيموت معاك زي ما هيموت معايا، عارف
إنه حمل ثقيل برمييه عليك، وبالذات إنك بتعرف كل حاجة مرة
واحدة .

فجأة تعرف إن أبوك تُربي، وفجأة تعرف إنه قاتل ومحكوم
عليه بالإعدام، وفجأة تعرف إنه مجرم عاش عمره كله في
الإجرام والحرام، وده كتير .

يمكن لو طلبت منك تسامحني مترضاش، وهيبقى من
حقك، بس باعترافاتي بديك الدرع اللي تحارب بيه نفسك لو
جرتك لطريقي .

(الليلة المشئومة)



ودلوقتي هحكى لك تفاصيل الليلة المثلثومة اللي اتقبض عليّ
فيها .

يومها كنت قاعد زي عادتي بالليل، دخل عليّ شاب كده
مربي شعره وعاملة بتوكة، فعرفت علطول إنه زيون البيسة
شكلهم بيبقى باين عليه، ولاد ناس ومتدلعين ولايس سلسلة في
رقبته وانسيال وخاتم ذهب وبمضغ لبانة، قلت له: عاوز إيه؟

قالي: عشرين جرام.

قلت له: كثير، إوعى تاخدهم مرة واحدة، وضحكت.

الواد قالي: لا، معايا صاحبتى، وبالمناسبة دي عاوزين حنة
على جنب كده نقعد فيها قاعده هادية.

قلت له: وماله مائتين جنيه كمان للحنة الهادية وإزاتين
بيرة من عندي هدية.

قالي: ومال، اتفضل مش كثير عليك.

راح عند العربية، وجه ومعاها البننت، كانت جميلة، عينيها
سودة وشعرها أسود زي الليل، وقصيرة، وبيضاء شوية، ولايسة
جيبية قصيرة لونها أسود وشراب وجزيمة كمب عالي، وبلوزة
بنفسجي، كان شكلها بنت ناس أوي مش زي الشامامين التانيين،
كانت شبه الملائكة، معرفش ليه خطفتني من أول دقيقة، وكنت
حاسس نفسي مشدود ليها، وفضلت أبص عليها كل شوية وهي
ماشية مع الولد ورايا، وعمالة تقوله: إيه المكان ده يا عمرو؟
أنا خايفة أوي، يلا نروح.

قالها: نروح إيه، ده أنا ما صدقت لقيتك، بقالي شهرين
بحلم باللحظة دي، ودلوقتي تقوليلي نمشي، ده أنا سألت طوب
الأرض لحد ما لقيت المكان ده عشان نبقي براحتنا ولوحدنا.

قالت له: خلاص بلاش تروحني، نروح نقعد في أي مكان
تاني غير ده، قلبي مقبوض أوي، دي ترب هنقعد في ترب؟

المهم أكون معاك في جهنم، أنا بحبك أوي، أنت مش
بتحبيني زي ما بحبك؟

بحبك طبعاً، ولو مكنتش بحبك كنت جيت معاك هنا؟

وكل ده وأنا ماشي قدامهم، ودخلتهم حوش ولاد الناس،
ونزلت لهم البيرة، وقلت لحوده: خلي بالك منهم لا الواد يتغابي
والبت تصرخ وتفضحننا.

ومشيت وأنا قلبي متعلق بالحوش معرفش ليه؟

مفيش نص ساعة، وجه حودة زي نذير الشؤم، وقالني:
إلحق يا معلم عادل، البت بتطلع في الروح.

مش قلت لك: الواد ده مش هيعدي اليوم ده على خير، أنا
كنت حاسس.

جريت على الحوش، دخلت لقيتها بتطلع في الروح، وبتترعرش
ومتلجة.

قلت للواد: حصل إيه؟

قالني: مفيش، اديتها تشملها شمة عشان تهدي، عملت كده،
أنا ماليش دعوة، وطلع جري وهرب الجبان.

وقلت لحودة: هاتلي شوية ميه بملح نسقيهم لها، يمكن ترجع وتفوق، وبسرعة راح الواد وقبل ما يرجع كانت البت ماتت بين إيديا، وأول مرة أضرم ميت لحضني زي ما أكون مش مصدق إنها ماتت، كانت خسارة في الموت.

ولما جه حوده قالني: يادي الليلة الطويلة، يلا بقى يا معلم عادل، خلينا ندفنها بسرعة قبل ما الواد يرجع ولا حد يحس بيينا.

قلت له: مش هيرجع، ده جبان، سابها بتموت ومشني، انزل افتح لنا حوش بعيد عشان ننزلها فيه.

قالني: طب مش هنقلبها الأول، دي لبسة شوية ذهب تمام.

قلت له: طيب اخلص وهات الحاجة.

قلعها حودة ذهبها، وأنا قعدت على الكنبه جنب شنطتها، فتحتها أشوف فيها إيه؟ لقيت بطاقتها وكارنية النادي، بصيت فيهم قلت أشوف اسمك إيه يا كتكوتة، بصيت فيهم وياريتني

كنت عميت قبل اللحظة دي، مش قادر أوصفلك، كانت دموعي بتنزل من غير ما اتحرك، حسيت إن رجلي اتشلت مش قادر أتحرك، وحسيت بالبرد والعرق في نفس الوقت، كان اسمها ريم سعد الجابوري.

الاسم اللي لا يمكن أنساه، ابو بنتي اللي اتكتبت باسمه ريم بنت عبير اللي قعدت ألف حوالين بيتهم سنين عشان أشوفها، ويعدين نسيته زي ما نسيته نفسي، وكل حاجه حلوة في حياتي، ريم اللي جاتي أمها وقالت هخلف منك عشان معنديش حل ثاني، نفس تاريخ ميلادها، كنت حاسس إنها مختلفة، وكنت حاسس إن رينا هينتقم مني، بس متخيلتش إنه هيكون بالشكل ده، بنتي لفت الدنيا وجاتلي وأنا اللي دخلتها الأوضة مع الولد بإيدي، وأنا اللي بيعت له المخدرات اللي معموله من جماجم البني آدمين اللي بعته، وتاجرت فيها، دوقت طعم القهر، وحرقة قلب الناس اللي عيالهم ماتت هنا، ورميتهم زي الكلاب تحت أوبعت جشهم في المكان اللي بعمل فيه كل جرايمي، في نفس الحوش ده أمها حملت فيها، وفي نفس المكان قتلت بنتي

بايدي، تفكر في انتقام أكثر من كده، اتقسم ظهري، لقيت حودة بقلبها ويفتشها.

قلت له: غور من وشي، حضنتها وقعدت أعيط أعيط لحد ما عجزت عيني عن الدمع، وإزاي تنزل دموع من عين ماتت.

شيلتها على صدري، وأنا حاضنها ووديتها الحوش، استحميت كأني بتطهر، وبعدين غسلتها بايدي، بنتي حبييتي العروسة بغسلها، دخلت أمك عليّ، قلت لها: ساعديني، أبوس إيدك.

وقفت غسلتها وكفنتها، وأنا شيلتها، شيلت حبة عيني، أه أنا مشوفتهاش عمري من يوم ما كانت عندها يجي خمس سنين، بس دي بنتي مهما كان، أه جت نتيجة غلطة، لكن كانت المرة الوحيدة اللي غلطت فيها، وكنت أسعد بني آدم، أمها وثقت فيّ ومقرفتش مني زيها زي كل الناس، ده حتى الستات اللي كانوا بيعجوا الترب وبديهم فلوس، وبحميههم وبوفر لهم السكن، كانوا بيتاموا معايا وهما قرفانين مني، كنت بحس بيهم مهما حاولوا

يخبوا ده، والأخر قتلت بنتها وحطيتها في الترب بايدي، وقعدت أقرأ لها قرآن وأدعيها لحد ما أمك نزلت القبر، وخذتني فوق بالعافية، ضمتني لصدرها لأول مرة زي ما تكون كانت فاهمة من غير ما اتكلم، بس مكملتش نص ساعة ونزلت لها جري، مش قادر أسيبها لوحدها تاني، وفجأة لقيت سمير بياخدها، اتجننت.

حودة بعثت له يشيل الجثة، حاولت منعه، افكرني شارب أوعاوز فلوس أكثر، تتخيل يا ابني فاكروني عاوز سعر زيادة في بنتي، ببيعها زي عيال الناس الثانية.

حاولت أبعد، زفني، قتلتها، أه قتلتها علشان يسيبها.

دخل الشاويش حسنين وقال: مالك بتعيط ليه؟ أخيراً حسيت بالذنب.

سيبني في حالي يا شاويش الله يخليك، أنا مش ناقص.

هسيبك في حالك يمكن ربنا يغفر لك، بس تعالى فيه ليك زيارة.

مش قلت لكم مش عاوز أشوف حد، خلاص معدش لازمني
من الدنيا حد.

بس زي ما وصيتك يا شاويش حسنين تسلم الورق ده لابني
في إيدته.

ماشى يا سيدي بس المرة دي مش المحامي ولا مراتك.

أومال مين يعني اللي هيجيلي؟

ست اسمها عبير ومصممة تشوفك.

عبير، استنى أنا جاي.

طلعت من العنبر وحاسس إنني بجر رجلي ورايا، مش قادر
أمشي عليها، هواجها إزاي؟

هبص في عنيتها إزاي؟

دي مجتش طول المحاكمة، جاية ليه دلوقتي؟

اسندني يا شاويش حسنين الله يخليك.

مالك يا عادل؟ زي ما تكون رايح غرفة الإعدام كده ليه؟

يا راجل امسك نفسك شوية، والله دي زيارة مش تنفيذ
الحكم.

الحكم اتنفذ يا شاويش ودي هي عشاوي.

ليه مين دي؟

دي أم ريم.

ريم دي اللي أنت قتلتها.

أم.

دخلت المكتب لقيتها واقفة زي ما تكون كبرت مائة سنة عن
ما شفتها آخر مرة.

لابسة أسود حتى نظارتها سودة أول ما شافتني خلعتها،

إمضاء:

داهن الموتى الذي يوشك على الموت الآن.

وحدوووووووووووووووووووووووووووووو.



لقيت عين ماتت من الحزن ومعدش فيها حياة، متكلمتش وأنا
مكنتش عارف أقول إيه؟

كان نفسي أوطي على رجليها وأبوسها، وأقولها سامحيني،
بس هي بدأت وضربتني ألم على وشي، كان أقوى من خرق
عيني، منعها الظابط تكرره.

قلت له: لا، سيبها تضربني، اضربي بس اغفري.

الغفران، بتطلب الغفران يا أسوأ خلق الله.

وخرجت ودموعها بحر على وشها، وأنا وقعت في الأرض،
وفوقت لقيت نفسي في المستشفى، رفضت العلاج وقلت لهم:
رجعوني زنزانتني عند أوراقني مفيش وقت، ودلوقتي أنا قاعد
في زنزانتني ببدلتي الحمرة منتظر الفجر بفارغ الصبر علشان
عارف إنه هيجصل الليلة، وبحمد ربنا خلصت اعترافاتي،
سلام يا ابني، أنتظرك هناك في مدينة الموتى، لا تنسَ طلبتي
أن تدفنني، أتوسل إليك الآن، أسمع الخطوات قادمة نحوي،
سيفتح الباب بعد لحظات.

الصفحة	الفهرس
٥	إهداء:.....
٧	المقدمة:.....
١٩	(اعترافات تربي) :.....
٣٧	(محمود بن عم حسين) :.....
٤٧	(العضامة):.....
٥٣	(صرخات سمر) :.....
٥٩	(أطفال تطوف ليلاً) :.....
٦٧	(الصديقين) :.....
٧٣	(عبير) :.....

١٦٩	(محمد أخويا):
١٧٥	(الجن):
١٨٩	(صراخ التوابيت):
١٩٧	(بعد الثورة):
٢٠٥	(الكيف):
٢١٩	(الليلة المشؤومة):

٨١	(التربي بيحب):
٨٩	(تجارة الأعضاء):
٩٣	(سيدي المتغرب):
٩٩	(صفية):
١٠٥	(مذبحة الآثار):
١٢١	(السحر):
١٣٧	(حودة):
١٤١	(قطع غيار البني آدمين):
١٥٣	(شيطان الإنس):
١٦٣	(سامحيني):

حقوق الطبع محفوظة للناسر



أطلس

للتنشر والإنتاج الإعلامي

يحظر نشر أو اقتباس أي جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

التُّنِي

اسمي عادل وأنا أعمل تربي (دافن
للموتى) أعيش بينهم وأستمع إليهم، لا
تتعجبوا فللموتى أصوات وأسرار، لا
تستطيع معرفتها بمجرد المرور من
بينهم ولكن نحن في قبور الموتى نعرف
كل الأسرار فما إن يخلق الباب علينا ليلاً
حتى يبدأ العرض ...

تصميم الغلاف : أحمد الصباغ

